

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف.المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والآداب العربي



الرقم التسلسلي:...../.....

رقم التسجيل: ط1: 1435102565

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص:

بمعنوان:

رواية (التفكك) لرشيد بوجدر _ دراسة نفسية

إعداد الطالب(ة):

نسيمة هدلي

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر أ	خليفة عوشاش
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر أ	بحوص زكري
مناقشا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر أ	وسيني بن عبدالله

السنة الجامعية: 1439-1440 هـ / 2018-2019 م

إهداء

إلى ينبوع الحنان
إلى من حملتني وهنا على وهن
إلى من لا يحل محلها سوى رحمة البارئ الذي خلقني وخلقنا
أمي (حفظها الله)

إلى رمز الصبر والتضحية
إلى مثل البذل والعطاء
أبي (رحمه الله)

إلى من لا تهدأ روعي إلا وسطهم
إخوتي

إلى نبراس معرفتي
أساتذتي

إلى كل من قدم لي يد المساعدة
إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

كله

شك

إنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن أتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ

الدكتور: زكري بحوص الذي أشرف على هذا البحث وقدم لي كل التوجيهات

والنصائح، متمنية له حياة فكرية حافلة بالنجاح.



بعد إحصاء لكل الدراسات والمقاربات النقدية التي أنجزت حول المنظومة السردية في الجزائر تبين لي ذلك المجهود الطيب المنتج لمعرفة تقييمية جمالية لتلك المنظومة، وبالمقابل ظهر لي هناك تباين واضح بين روائي آخر وبين نص وصنوه، من أبرز ذلك التباين عدم العناية بالنص السردى للروائي رشيد بوجدره وخاصة متن "التفكك" مما جعلني أجتهد في تقدير الأسباب التي حوصلتها في خصوصية الزاوية التي يبدع من خلالها " بوجدره " نصوصه، تلك الزاوية ذات النكهة الجنسية التي، في الغالب الأعم وحسب الطقوس الدينية والعادات والتقاليد، تخلق كثيرا من الإحراج لدى الباحثين الجزائريين وتبرز ترددا كثيرا لديهم في تدريسها للطلبة.

هذه الخصوصية باعتبارها تؤسس لاختلاف وتمايز بقية الروائيين ووسم نصوصهم بسمة تختلف بها عن بقية النصوص السردية في الجزائر، هي التي أغرتني بتناول نص " التفكك " بالدراسات والمعالجة، وذلك على اعتبار أن الأدب هو بؤرة جمالية تسعى، عن طريق آليات فنية، للربط بين صورة الحياة والنفس لتفسح المجال لدور ترجمة الأحاسيس كشريك فني جريء يمثله، باقتدار وتقنع، المبدع في مسعاه الجمالي لإنتاج الأفكار وقيادتها، تشكيلا وهندسة وتفصيلا وصوغا، وترتيا فنيا خاصا. بحثا عن أفضل الطرائق استغزانا لذاكرة المتلقي الجمالية.

واستنادا إلى أن الرواية، آلية فنية وجنس أدبي تقرأ روح العصر بتمثلها التجربة الإنسانية ضمن حدود نصية تفرضها وساطة اللغة وضرورات الشكل الفني المؤطر لها ويعمقها التدفق الوجداني والرغبات والغرائز النفسية التي تبدو في النص صريحة مباشرة كما قد تكون مغلقة موحية.

وعلى أساس أن مبدعها - الأديب - ساع أبدا للبحث عن أفقر الطرائق وأقواها تفجيرا لما بداخله من مسكت المشاعر، ومقموع الأحاسيس، وموؤود الرغبات ومكبوت الممنوعات مما فرض على النقد تخطي مرحلة الذوق والاستمتاع إلى مرحلة أكثر عمقا منها مجسدة في الفهم والمعرفة والاستنباط في درب ملغم بمستعسرات الفيوض الدلالية كرموز أو إحالات، أو إشارات ومن ذلك الاهتمام الجاد بتفكيك رموز العملية الإبداعية، والوقوف على بواعث هذا البوح الجمالي الخجول تارة، والجريء تارة أخرى. سواء أكان البوح الإبداعي شعوريا واعيا أم لا شعوريا غير واع.

ووفق ذلك قصدت الوقوف على العلاقة بين علم النفس وبين الأدب، ومدى قدرة واستطاعة التحليل النفسي بصيغته الفرويدية إجرائيا على الأدب عامة والرواية خصوصا، ومن خلال رواية " التفكك " بصفة أخص كنموذج تطبيقي في ضوء التحليل النفسي. ومن هذا المنطلق أعتقد بأن مدرسة التحليل النفسي قد أعطت وجهة جادة ومثمنا للعملية الإبداعية للنص الأدبي، وذلك من حيث كونها اجتهدت في

البحث عن تلك العلاقة المفترضة والكامنة بين حنايا الفواجع النفسية والإحباطات الملازمة لشراسة المعيش اليومي، مما يسهل كثيرا عملية إخفاء المقاصد والغرائز و الرغبات و كبتها حتى يأتي التدفق الإبداعي للأدب فيحاول إخراجها تحت لبوس إيقونات وصيغ وأساليب مختلفة.

وأحسب أن ذلك ما قوي ميل الباحث للدراسات النفسية التي توصل إليها كل من فرويد، وأدler، ويونج، وغيرهم. وبعد أن بات جليا، للمشتغلين غي هذا الحقل ولأصحابه المنشئين له، أهمية التحليل النفسي في الدراسة الأدبية لكون الآثار الفنية الإبداعية تجسيدا جماليا للتعويضات عن رغبات اللاشعور الدفينة في قبو النفس الإنسانية. وهذه الرغبات كثيرا ما تمظهرت في صور الأحلام للنوم واليقظى من الناس. أو هذيان العصائيين، أو في عمليات الإسقاط المختلفة التي ترتبط بشكل خالص بالأعمال الأدبية الروائية لقدرتها على تمثل مرتكزات الدراسة النفسية .

وأخذا بعين الاعتبار لكل القضايا السابقة، زيادة على الباعث النفسي المحض قدرت بأن معظم روايات رشيد بوجدره ومنها " التفكك "، تمثل اختبارا تطبيقيا جديرا بالاهتمام في مجال الدراسات النفسية، كونها نسيجا فاضحا من العقد والبؤر الدلالية - كبتا وتساميا وغيرها- التي تنتظر لحظة التفجير القرائي لها، إضافة إلى كونها إحدى الروايات التي كتبها أصلا باللغة العربية، قد يسهل تلمس مدافن النص وعتباته وبالتالي تحليل نص " التفكك " بكثير من الموضوعية، على خلاف تلك الروايات المترجمة التي قد لا تسلم من تدخل الجوانب الذاتية للمترجم - قصدا أو جهلا - عليها مما يفقد التحليل النفسي للنص موضوعيته ومصداقيته وبالتالي نكهته في استنطاق مجاهيل النفس، وأغوارها المظلمة.

وبعد وقفة تشخيصية للجوانب التي يمكن معالجتها في هذا البحث، وبعد قراءة رواية " التفكك " و الإمام، قدر المستطاع بالقضايا الجوهرية فيها اقترحت الخطاطة التالية:

مقدمة

المدخل: تناولت فيه مفهوم الرواية في ضوء التحليل النفسي، باعتبارها تفسيرا آليا للأحداث وتحليلا نفسيا للسلوك الإنساني، وذلك من خلال تبيينها في مرحلتين ما قبل التحليل النفسي.

الفصل الأول: بنية الشخصية والأحداث: في رواية " التفكك " تعرضت فيه إلى السيرة الذاتية للروائي رشيد بوجدره، وتلخيص لأهم أحداث رواية " التفكك "، ثم تسليط الضوء على شخصياتها وتحليل نفسياتهم.

الفصل الثاني: الإسقاطات النفسية على بنيتي الزمان والمكان: مع تحليل بعض أنواع الصراعات السياسية والجنسية، والدينية التي عاشها البطل، ثم الإشارة إلى الإجراءات العلاجية والتعويضية وأنواعها التي خضع لها البطل للخروج من عقده.

الفصل الثالث: فخصسته للمعجم اللغوي في رواية " التفكك "، وفي النهاية وضعت خاتمة البحث أدم رصد ما توصلت إليه من نتائج.

وقد اتبعت في هذا العمل المتواضع المنهج الوصفي مع استفادة كبيرة من مناهج علم النفس الأدبي حسب ما تيسر من إمكانات دون نكران الإفادة من قبس المناهج الأخرى عند اقتضاء الضرورة مثل المنهجين التاريخي والاجتماعي.

وأخيرا لا أبرح هذه المقدمة دون الإلماح إلى الصعوبات التي واجهتني والتي تمثلت في تعقد منهج التحليل النفسي ذاته ومن ماهيته، وكذا في قلة الدراسات النفسية الجزائرية، خاصة إذا ما قورنت بالكم التراكمي للرواية إنتاجا. باستثناء التحليل النفسي للأدب، دراسة نفسية في ملحمة الحرافيش - لنجيب محفوظ - لمحمد حسن غانم . أو بعض المجالات كمجلة " التبيين " الجزائرية ومجلة " الكاتب الجزائري " أو بعض الدراسات "كبنية الزمن في الخطاب الروائي" للدكتور بشير بويجرة محمد. وهذا ما شجعنا على وضع تصور خاص يلتمس خطاه باعتماد الأحكام المنطقية بعيدة عن الأفكار المسبقة التي تشوه القيمة الجمالية للعمل المدروس.

وفي الأخير لا أقصد من البحث سوى محاولة التقرب ومساءلة النص الروائي من زاوية تكاد تكون خاصة لحساسيتها الجمالية. هذه المساءلة التي قد تساعد على قراءة متوننا الروائية الجزائرية المعاصرة التي أوجدت لنفسها مكانة لائقة إن على المستوى المحلي أو العربي أو العالمي.



علم النفس ميدان واسع، يعتني بدراسة التوافق النفسي للفرد، والدراسة التحليلية نفسية فرع من هذه الدراسة التي تهتم بالتشخيص السلوكي للفرد، والاطلاع على علله المرضية. فهو يهتم بكل ما يصدر عن الكائن الحي من أفعال تتم في حالة شعورية أو لا شعورية، وهو حين يبحث السلوك يقصد بحث إمكانية تعديله أو تغييره، لأن المنهج النفسي من الناحية التاريخية يعد أول منهج بدأت به الدراسات النقدية بما أنها تدرس النفس. والأدب يولد أساسا في النفس ومنها، وبذلك ظهرت نظرية علم النفس الأدبي حيث تدخل في تفسير كوامن الأدب. كون جوهر الأدب لا يمين في ظاهرة النص، إنما في صميم نفس الأديب أيضا، والذي يترك حتما انطباعات نفسية على العمل الأدبي.

والرواية كجنس أدبي قادر على تصوير مظاهر الواقع الاجتماعي، والتعبير عن مكونات النفس البشرية ونوازعها - هذا التعبير الذي تعجز عنه الأجناس الأدبية الأخرى - بفضل ما تملكه من تقنيات فنية، وجمالية تتمثل أساسا في سعتها بالإضافة إلى عنصر الزمان والمكان، وتعدد الشخصيات والحوار بأنواعه، مما يدفع بالمنهج النفسي إلى الكشف عن العقد النفسية التي مستقرها النفس البشرية.

إن الرواية قبل ظهور مدرسة التحليل النفسي كانت تقوم بدور المرشد، والدلال النفسي المستكشف لطبيعة العلاقة بين شخوص الرواية وبين صانعيها من الروائيين من غير بحث أو دراسة لذلك، فكان هذا الكشف كشفا طبيعيا إنسانيا لدراسة نفسية الشخصية، وتسليط الضوء على خفايا سلوكها و تلوّناته المتعددة. وكأن الرواية محساس للومض النفسي المسجل على تحرك الشخصية. وهذا الدور هو وسيلة إجرائية لاستحضار الإطار العام الذي يقيد حرية حركة الشخصية التي تريد أن تفك عنها الحصار، والتعظيم.

وبفضل هذا الاتجاه الجديد للرواية التي ساهمت في رسم ملامح شخوص الرواية انطلاقا من ضبطها لنماذجها الحية في الواقع. وكان المتلقي يفتنح بأن معالجة شخوص الروايات هو موجود في بيئته، وأن شخوصها هي واقعية وحية بل أسرته.

¹ جوليان رونز: علم النفس الإكليني - ترجمة د. عطية محمود هنا - مراجعة د. محمد عثمان نجاتي ديوان المطبوعات الجامعية

فمثلا حينما يشير محمد مصايف إلى محور رواية " ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة بعد أن نفي عنها كونها تعالج موضوع الثورة الزراعية ليؤكد على أنها تعالج تلك "النفسية المحافظة التي حملها ابن القاضي من أول صفحة في الرواية إلى آخر صفحة منها، وهي نفسية الطبقة الإقطاعية التي عاشت الثورة الجزائرية دون أن تندمج فيها اندماجا كلياً، وكل صراع حدث في الرواية مهما كان نوعه وأثره في سير الأحداث إنما كان بين هذه النفسية وبين المجتمع الروائي المتمثل في المرأة والسلطة، والثقافة التي كان الظاهر المعلم ومالك إلى الحد كبير"⁽¹⁾.

وأشار أيضا عبد المالك مرتاض إلى أن التغيير المفاجئ للشخصية وإن كان من حقها وواجبها معا يجعلها شخصية نامية، متحركة تتمتع بإرادة قوية ومبادرة عالية في السلوك. وكأن الراوي هنا ترك حرية التصرف لشخصية لتعبر عن سخطها على هذا الانتظار⁽²⁾، بهذه المواقف المثيرة للجدل النفسي حاول تقمص الروائيين أدوار شخصوهم الروائية. تكون هذه المرحلة أسست لرؤية متطورة للولوج إلى عالم تبادل العلاقات الداخلية بين متحركات النص وثوابته، هذا الذي نبه القارئ إلى وجود فهم أو معرفة مسبقة نفسية عن أدوار الشخصو وعلاقاتهم بالمحيط الخارجي لها. لذلك أضحت هذه المرحلة وسيلة فقط لفهم الإطار العام الذي من شأنه أن يسهم في بناء ملامح الشخصية خاصة من جانبها الداخلي.

وبهذا المعيار النفسي استطاع المؤلف الروائي "أن يتغلغل في أغوار النفس البشرية من خلال الملاحظة الدقيقة لسلوك الشخص وتصرفه إزاء الأحداث، وأن يفسر هذا السلوك وهذا التصرف من خلال معرفته بالأحوال العقلية والنفسية لهذا الشخص"⁽³⁾، وبهذا الحضور النفسي ما قبل التحليل النفسي يكون "الزمن هو الذي يصنعهم ولا وعي لهم بكل ذلك"⁽⁴⁾. وهم لا ينتجون الحياة، بل الحياة هي التي تنتجهم ليكونوا مؤشرين على وجودها في المحيط.

¹ مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية - دار القصبه للنشر - الجزائر - ط 1999 ص7.

² عبد المالك مرتاض: القصبه الجزائرية المعاصرة - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - ط 1990 ص 81 .

³ د. عزالدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب - دار العودة ودارالثقافة _ بيروت 1962 ص 209.

⁴ عبد الصمد زايد: مفهوم الزمن ودلالاته في الرواية العربية المعاصرة -الدار العربية للكتاب -تونس 1988 ص42.

الرواية والتحليل النفسي:

إن مساعي العلم والعلماء حثيثة في سعيها إلى فهم إشكالية الموت والحياة في القرن العشرين. وأصبحت الفلسفة تفتح أبواب انتصارها على كثير من قضايا الإنسان، ونجاحها يؤكد استقلالها عن بعض المعارف التي راحت تختص بدراسة جانب من جوانب الحياة الإنسانية. ومن هذه المعارف المستقلة، علم النفس التحليلي على يد (فرويد) الذي خطا خطوات لم تكن معهودة وهو يقترب من فهم دوافع السلوك الإنساني للإجابة على الإشكاليات التي تطرحها فلسفة الحياة والموت.

وكان لهؤلاء العلماء الباحثين آراء وحقائق مكتشفة سرعان ما وظفها الروائيين في أعمالهم الروائية يحكون منها ما يتلاءم مع تركيبتهم النفسية، وما يلائم وضعية الإشكال في طرح موضوع الشخصية الروائية كبؤرة يتجسد عبرها البناء الدرامي للحياة الإنسانية. لتصبح الروايات مضامير لعرض تجاربهم، وواقعهم المعيش.

وما يثير هذا النوع الجديد من الرواية التحليلية للنفس الإنسانية هو افتقارها للمتعة، ولبعض عناصر القصة القديمة لكون هذه الروايات هي غاية في حد ذاتها للنموذج المراد ترسيمه بطل الحالة. وكثيرا ما تتصف هذه الرواية بالغموض نتيجة شحن الموقف لا شحنا نفسيا متساميا به، وبما يدخره من مكتسبات طبيعية ونفسية ومعرفية تتجاوز عتبة فهم القارئ المحتمل. وهذا التجاوز له ما يبرره إذا ما كانت الرواية معبرا للمعارف، والخبرات الخاصة بالعلوم، والحقائق العلمية. والمعرفة المجردة. وقد يبدو ضروريا التعرف على شخصية الروائي لمعرفة أجواء الرواية وملامح شخصها وإمكانية تطابقها معا.

فإذا كانت شخصيات (دستوفسكي) تمثل الرذيلة والإجرام فلأن شخصيته الروائية نموذج لهما، ومثال حي لتجسيد عالم الرذيلة والإجرام¹. وقد يرتبط عالم الإجرام (الدستوفسكي) في شخصية (راسكولنيكوف) بطل رواية (الجريمة والعقاب) مع (المعلم) إحدى شخصيات رواية (عزوز الكابرن) لمرزاق بقطاش. وهذا الارتباط يجسده التشابه بينهما إذ إن " الجريمة لا تساوي شيئا في عرف الرجل السياسي، بل هي ضرورة من ضروريات المهنة، ومطلب رئسي من مطالب النجاح فيها، ثم أن البعد الأخلاقي غير وارد على الإطلاق"².

¹ د. عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، المصدر السابق ص 222 .

² مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية - المصدر السابق ص 127 .

وبهذا الاحتقان المعرفي الذي يريخ "تحت إلهام الرغبة اللاشعورية في التملص"¹ من ذاتنا الحقيقية إلى ذوات منتخبة روائيا تكون مدرسة التحليل النفسي قد ساهمت في توسيع دوائر المراقبة والتجسس الفني على تحرك ذات الروائي في شخوص عمله الروائي.

وبما أن الرواية كفن من فنون الأدب تقوم على تقنية الرواية كوظيفة إخبارية وإعلامية و إمتاعية وعلاجية. وهي تسلك هذا المسلك تنحو منحاً سردياً يعتمد لمحة وسداة. فاللمحة هي الأحداث، وسداها الزمن المتتابع. ولتطابق الأحداث مع أزمتها يتشكل الحبكة الفني.

زمن هذا المنطلق تعد الرواية صناعة فنية تستحضر عامل التاريخ من جهة، وعامل الاجتماع من جهة أخرى عبر وسيط حركي وفعال، وهو الإنسان. والإنسان وهو في صراعه مع الحياة في تعدد أصعدها، وتشابك مستوياتها واختلاف مجالاتها، يسعى عبر الرواية ليسجل موافقة وبطولاته عبر اشتراك الآخرين/الملتقى لاندماجهم في المسار الروائي القائم على عنصر التراكم والتباطؤ.

ولا شك أن عامل الإخبار والحكي خلقه أسباب وبواعث منها ما هو ظاهر جلي ومنها ما هو باطني خفي. قد يتزاحم هذان المظهران فيكونان الأدب الروائي الواقعي الذي يؤرخ من ناحية لنضال الإنسان، ويمتدع من جهة أخرى ذات المتلقي للاشتغال على ذات البطل كموضوع خبرة واقعية، واجتماعية أو كموضوع تجربة تساعد الإنسان على استغلال قصوره، وانغلاقه على ذاته صامتا متفرجا لتساعده على خروجه من كونه واندماجه في السيرورة الاجتماعية.

ومرور الزمن، وتصاعد وتيرة الصراع مع الذات تارة، ومع المحيط تارة أخرى تبلورت الحاجة للتعبير عن هذه المواقف والأحداث فذهب الإنسان يصطنع لنفسه "على مر الزمن وسائل مختلفة من التعبير، نشط بعضها في زمن، وتختلف في زمن غير، كما تطورت أنواع التعبير نفسها لكي تفي بحاجة العصر."²

¹ د. بشير بويجيرة: بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970-1986) "المؤشرات العامة في بنيتي الزمن والنص" ج1 - دار الغرب للنشر والتوزيع - ص 132 .

² د. عز الدين إسماعيل : التفسير النفسي للأدب - المصدر السابق ص 207 .

الرواية مرآة لانعكاس السلوك :

إن توجه الرواية نحو غور مجاهيل النفس البشرية وتشريح مواقفها من خلال لعبة الشخص، وتدخل القدر في رسم معالم تقاطعها وتصارعها جاء بعدها قطعت الرواية شوطا في رصد الظاهرة الإنسانية رسدا أفقيا يعتمد الخط لاستدباري، و الخط الاستقبالي في تمازج منطقي.

ولما قامت الرواية التسجيلية بهذا الدور، وتفسيره تفسيراً ميكانيكياً آلياً يربط الحدث بعقله دعت الحاجة إلى استشراف رؤيوي لنزعات النفس، ودراسات تحركها عمودياً. وكان هذا الميل الميل بعد شحن الروائي ذاته بالمعارف الخارجية التي تساعد على تبصر منعطفات النفس، وانكسارها ، و انتصاراتها وتمرداها.

فأصبحت الرواية، كفن علما يمكن توظيفه إلى حد ما في استبطان لا وعي الذات المتحركة عبر مسار الرواية. سواء أكان هذا التحرك عبر السارد فرداً أم جمعا حاضرا أم غائبا، أو عبر أحادية الصوت، أو تعدديته التي تفتح المجال واسعا في استكمال بيانات التأثير السلوكي.

الرواية وتأويلية الحدث :

إذا كانت الرواية فنا استطاع أن يسجل حركية الشخصية وهي تخط أحداث سيرورتها، وتعالج أسباب انهزامها وتحديها، نجاحها في لباس الطرافة والمتعة فلقد أدت دورها بنجاح فيما مضى " لقد نجحت القصة في تصوير الشخصية وهي تعمل وتتحرك أكثر من المسرحية. والعقول التي كان من الممكن أن تجذبها المسرحية في العصور الأخرى اجتذبتها القصص"¹، فإذا كان لها هذا التمييز فإنها تعدت هذه الوظيفة إلى وظائف أخرى، وهي وظيفة تفسيرية تحليلية. وبذلك فهي تفسر أسباب الظواهر المسجلة وعللها لتقف عن المعنى الوظيفي، أو الدلالة التفسيرية لهذا المشهد أو ذلك. وكان لهذا الدور الجديد فتحه ونصره لهذا الفن لاختراق كيانات الشخص والفتات والمجتمع. وأصبح للمجتمع ، أمام هذا الفتح الجديد، رأي في رفض أو قبول الوظيفة التفسيرية للرواية حتى "صار القارئ يقبل هذا المعنى أو يرفضه معتمدا على مقدرة المؤلف في إقناعه ..."² بالنتيجة المتوصل إليها.

¹ المصدر السابق ص 208.

² المصدر نفسه ص 208.

وهي بذلك تسعى للجمع "بين ما اختلف وما اتلف في الديمومة الوجودية"¹ ولا كتسابها هذه الوظيفة الجديدة أضحت "أوفر حظا في التداول، مما أصبح مدعاة للتطرق إلى الروائي ذاته بصفته مقيما حقيقيا للحقب الزمنية المختلفة"² وبقدر ما كانت عملا تسجيليا للأحداث في ترابطها، وتفاعلها وعبورها من زمن إلى زمن وتقبلها من شخصية إلى أخرى من أجل تلبية الحاجة التاريخية والجمالية للإنسان المصارع، وانتقالها بعد ذلك إلى وظيفة تفسيرية تحليلية لهذه الأحداث بربطها بعلمها ومسبباتها، وتصنيفها إلى ظاهرة وباطنية، وأساسية وثانوية، فإنها تسعى كذلك إلى اختراق الذات الإنسانية لمعرفة قواها المحركة وتحليلها أيضا مستعينة في هذه المرحلة بوسائل إجرامية تقيس درجة شحنها وقوتها، وتأثيرها في المحيط. ويمكن رصد مرحلتين مرت بهما الرواية التحليلية النفسية³. مرحل هي وسيلة لاحتضان معالم واقع كائن ذي مواصفات تثبته شخوص الرواية، وأزمتها وأمكنتها وهذه المرحلة هي ما قبل ظهور مدرسة التحليل النفسي. ومرحلة هي غاية في حد ذاتها تنظر إلى شخوص الرواية على أنهم امتداد طبيعي لشخوص روائيينها، وواقعهم المعيشي، وخبراتهم الواقعية، وهذه المرحلة هي ما بعد ظهور مدرسة التحليل النفسي.

وأصبح لهاتين المرحلتين القدرة على اكتساح بقاع سحقية الغور في النفس البشرية لم تسلط عليها أشعة الاستكشاف وإن أصبحت في القاع نائمة لا تحركها إلا قوة الفلتان التي تنتاب وعي الكتاب الروائيين وهم يدخلون مناطق التمويه الطبيعي والاصطناعي لها. فصارت الرواية تتغير آلياتها بتغيير النفس البشرية عبر شخوص الرواية وتبدلها بتبدل المواقف التي تتلبسها كأقنعة تنموه فيها، فكان لدور التحليل النفسي أن سعى لتسليط هذا الضوء الكاشف أغوار هذه النفس اللعوب.

وفي إطار ذلك يحاول الباحث التقرب من رؤية "التفكك" للبحث في النص الروائي واستكشاف - ما أمكنه ذلك - الآثار التي يبدعها الفنان، والتي ما هي في الحقيقة إلا تعويضات خيالية عن رغبات لا واعية، تراود كثيرا من المبدعين في أعمالهم الأدبية، كما يحاول الوقوف على حقيقة الباعث الأساس عند الفنان والذي يعد تعويضا لما لم يستطع تحقيقه في الواقع، ومدى حقيقة العمل الأدبي الذي يعتبر استجابة لمؤثرات خاصة، وهل هو عمل صادر عن مجموعة من القوى النفسية.

¹ د يشير بوجيرة: بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، المصدر السابق ص 84 .

² المصدر نفسه ص 60 وما بعدها .

³ د عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب .المصدر السابق ص 209 .

الفصل الأول

بنية الشخصية والأحداث في رواية التفكك

إن الحديث عن شخصية ضرورة ملحة، يقتضيها البحث عن العناصر التي تطبع الرواية، باعتبارها عملاً أدبياً من جهة، وعن علاقاتها وأدوارها مع بقية العناصر المكونة له من جهة أخرى. لأنها تعد نقطة ارتكاز تتمحور حولها كل مكونات الخطاب الروائي وكما قيل "القصة فن الشخصية".

فهي ذلك الجنس الأدبي الذي يبدع شخصيات مقنعة فنياً. فهي بدور حيوي في عالم الرواية، وهي كل ما تقوم به من أفعال وأقوال، تكون ممكنة الحدوث أو التماثل مع واقع الحياة التي يحيها الناس في الواقع، ولبلوغ هذا المطمع، كان الروائي يتوخى كل الأسباب التي تمكنه رسم الشخصية وتستقطب اهتمامه: كأن يعطيها اسماً كاملاً يميزها، وأن يوضح ملامحها الجسدية والنفسية، ويبرز مركزها الاجتماعي¹ وهذا الرسم لملاح الشخصية التي استحوذت على اهتمامه، يخرجها من العدم إلى التجسيد فيسميها ويميزها، بسلوكات وأفعال عادية أو شاذة، بل ويتعاطف معها أحياناً، ويخالفها الرأي أحياناً، يحبها، ويبغضها، ويصور صراعاتها الداخلية والخارجية وهي "تتصارع مع الشخصيات الأخرى من ناحية، ومع الحدث من ناحية ثانية فالصراع (...) هو الاحتكاك بينهما وبين نفسها وعواطفها الذاتية أو عقيدتها"²، بالإضافة إلى تصنيفها في العمل الروائي إلى شخصية برجوازية، وأخرى إيديولوجية، وهامشية وأجنبية وأخرى رمزية... وغيرها³، ومن هذه الزاوية التي استحوذت أحداث على اهتمام شخصيات الرواية أمكن لدارس النص الروائي أو لشخصية المبدع في حد ذاته الوقوف على المعاناة النفسية التي يعيشها الإنسان، ومن ثم أصبحت دراسة الأدب من وجهة التحليل النفسي ضرورة ملحة فرضت نفسها أكثر من تلك التي يخضع لها الإنسان داخل العيادة النفسية.

كما أن الحدث يشكل البناء القاعدي في هندسة البناء الروائي، بل هو المحور البالغ الأهمية في تحقيق العضوية بين تقنية المكونات الفنية المساهمة فيه وهو "الموضوع الذي تدور حوله القصة (...) يعتمد عليها في تنمية المواقف، تحريك الشخصيات"⁴ معنى ذلك أنه مجموع الوقائع يتخذها المبدع بعد أن يخضعهم من جديد، إثر تصرفه فيها بإضفاء مسحة جمالية فنية يسقط من خلالها بعض

¹راجع: كرومي لحسن، مقال- بعض المفاهيم في الرواية الجديدة- مجلة الحداثة، الجزائر، العدد 3، جوان 1994 ص 129.

² عزيزة مريدان: القصة والرواية، -ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1970 ص 27.

³ انظر: بشير بوجيرة محمد، بينية الشخصية في الرواية الجزائرية، ط2، منشورات دار الأديب، 2006.

⁴ عزيزة مريدان: القصة والرواية، المصدر السابق ص 25.

من مكبوتاته الداخلية، فيمزج الروائي المبدع خياله بالعالم الخارجي، ليصل به المطاف إلى تجسيد رؤيته ومواقفه، على سلوك ومواقف شخصيات أحدث. من هناك كان ارتباط الحدث بالشخصيات ارتباطاً وثيقاً، ارتباطاً تأثيرياً، فالشخصية تؤثر في الحدث، وتحرك دواليبه، بل تنفخ فيه الروح، وتجعله حياً لذلك كان " التميز بين الشخصية والحدث أمراً شكلياً من مقتضيات تبسيط عملية التحليل ومن شروط الحدث الوظيفية والعضوية"¹ وضع ملامحها منذ بداية الرواية أي منذ الفكرة الأولى التي تتم عن حدث الأولي.

ولعل هذه الأحداث في مسارها الروائي تطرح قضايا عميقة، تجعل من شأن التحليل النفسي تفسيرها. وكثير ما يسقط من خلالها الروائي الميداني من الرؤى والأفكار والخلفيات التي لم يستطع تجسيدها في الواقع اليومي فتكيف مع صراعه الداخلي، والصراع الخارجي الذي فرضه محيط مرض العصاب الذهاني، باهتدائه إلى طريقة مكنته من المحافظة على الأفكار العقلية بعملية إفراغ ما هو مكبوت لديه عن طريق الرواية، التي جسدت ما كان لم يظهر إلا من خلال ارتباط الحدث بالشخصيات. حتى إن لم يصرح عن ذاته فإن القارئ يشعر بأن بطل الرواية هو الروائي نفسه في ثوابت عليه كل أشكال الزيف والتمويه ليبدو للآخر على أنه شخصية مختلفة كما استعمل الروائي اسمه لإحدى شخصيات روايته مثل ما فعل رشيد بوجدره. الإنكار التي نجد أن بطلها يحمل اسم رشيد² لذا فإن معرفة مدى ارتباط الشخصية بالحدث يستدعي معرفة شخصيات التفكك ومناقشتها حتى نصل إلى الغرض المنشود.

السيرة الذاتية للروائي رشيد بوجدره:

أدرك مبدئياً أن الدراسة النفسية لا تكتمل إلا بدراسة السيرة الذاتية لصاحب الإبداع الفني، غير أن ثمة ظروف وقفت حاجزاً أمامنا في الإحاطة بسيرة الروائي بوجدره، وعلى رأسها التكتّم والسر، لاعتبارات لا تزال تعيق سير البحث في مثل هذه الموضوعات. " كما أن السيرة الذاتية مكان واسع للاستبهام، ومن يكتبها ليس ملزماً البتة بأن يكون دقيقاً حول الأحداث كما هو الشأن في المذكرات، أو بأن يقول الحقيقة المطلقة كما هو الشأن في الاعترافات"³ واستناداً إلى ذلك تعمدت الابتعاد عن مواجهات قد لا تخدم

¹ الفارابي عبد اللطيف، وشيكر أبو ياسين: - العالم الروائي عند غسان كنفاني - ط، دار الثقافة، دار البيضاء 87.

² أحمد حميدوش: الأنا وتجليات النفسية لعناصر السيرة الذاتية في الرواية -دراسة- مجلة الكاتب الجزائري-مجلة أدبية ثقافية يصدرها إتحاد الكتاب الجزائريين -عدد خاص الديوان الوطني للإعلام والثقافة، 2006، ص 218.

³ المصدر نفسه

البحث. وذلك بعد ما أحسست بإحباط أفقدني شهية البحث وكدت أتخلى عن الدراسة لولا أنني رجعت مرة أخرى إليه بتوجيه من الأستاذ المشرف وراعت في ذلك عاملين هامين:

- إن حساسية السيرة الذاتية تجربنا على عدم الخوض في دقائق حياة الروائي.
- أعتقد أن طبيعة الموضوع المتناول تلزم الباحث التقيد بالنص الروائي.

مع إمكانية الإشارة من حين إلى آخر إلى بعض جوانب سيرة الروائي وهذا ما جعلني أسلط الضوء على الجانب الذي رأيت فيه خدمة للموضوع من دون جوانب أخرى. كما أن بوجدة قد صور في متن " التفكك " جانبا من سيرته الذاتية مسقطا ما عانه على شخصية البطل " لكن بصورة أكثر إخفاء لفضاء السيرة الذاتية"¹ وقد ساد في هذا الاتجاه كثير من الروائيين قبل الاستقلال كمولود فرعون مثلا في رواية " نجل الفقير " التي صور فيها تضحيات والده في سبيل تعليمه أو بعد الاستقلال كما هو الحال عند رشيد بوجدة في "معظم رواياته حيث استقى مادتها من طفولته بشكل جلي، أو بصورة خفية، ويظهر ذلك أكثر ما يظهر في التطبيق، والإنكار ومعركة الزقاق"²، بالإضافة إلى "التفكك" وفي هذه الروايات يجد القارئ الارتداد إلى ذكريات بصورة دائمة وما يلاحظ هنا هو التشابه القائم بين مختلف هذه الذكريات التي تصل أحيانا حد التطابق حتى أننا لنحس أن رشيد بوجدة هو بطل روايته وإذا غاب في كل رواية³ ذلك ما شجعني على الاعتماد على متن " التفكك " عاكسات الأخرى، لنفسية صاحبها في عملية الإبداع.

إن رشيد بوجدة كاتب جزائري من مواليد 1941 رائد من رواد الذين ساهموا في تطوير أدب شمال إفريقيا. من عائلة برجوازية صغيرة، عانى فيها ديكتاتورية والده الذي كان عضوا في جمعية العلماء المسلمين .- والتي انضم إليها رشيد هو الآخر في شبابه- كما عانى الأذى بسبب عمته التي كانت تطارده وأبناء عمومته وتسمعهم ما قبح من الألفاظ. نشأ منشأ مضطربا يعاني غياب الاستقرار الاجتماعي والنفسي، جعله ذلك يأخذ في مواجهة المجتمع وهو لا يزال طفلا، فما تعرض له في صغره لم يكن تعنيف الأب على أمه الذي رأى فيه ظلما لم ينصفه في ذلك لا دين ولا العادات والأعراف والتقاليد فراح يطرح أسئلة يريد لها تفسيراً منها: لماذا لم ينجح الزواج؟ وحين طلقت أمه وبقي وحيدا يعاني قسوة الأب وتهكم العمات والمجتمع هذا الفعل؟ وحين عذب في مستشفى الأمراض العقلية لماذا.....الأعضاء السريين عليه.

¹ المصدر السابق

² المصدر نفسه

³ المصدر السابق ص 218، 219.

لا أحد في اعتقاده يفكر بمنطق المجتمع أو الدين، بل هناك تفكير في أخطائه، فلا عجب كما قال: " أن أكفر بكل ما يعد مقدسا"¹ وهي كلها عوامل قاسية عاشها الروائي في طفولته، تتلخص في الاغتراب عن الأم وتسلط الفاحش الذي تعرض له، والقهر السياسي الذي عاشه في شبابه، وقرت له القصصية، ومن ثم أسقط خبراته على نتاجه الأدبي معبرا عن معاناته. الوقائع ممزوجة بصراعات نفسية، واجتماعية وسياسية، بدت ظاهرة في خطابه الروائي الذي اعتمد فيه التعبير الفرنكفوني وسيلة للتبليغ.

أتصور بأن بعض النصوص الأدبية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي، تقوم على دعائم أساسية مثلها بعض من جيل أدباء الستينات والسبعينات الذين تشبعوا بقيم ومبادئ جديدة وفدة. وقد أصبح من بعض هؤلاء الأدباء مادة لدراسة الأوربيين² وبدت كتابات البواكير تعلن ظهورها في الإعلام المكتوب بداية الستينات وخاصة في مجلة " الثورة الإفريقية"³ وما ظهر لبوجدره مطبوعا سنة 1965 ديوانه الشعري " من أجل إغلاق نوافذ الحلم"⁴. وقد صادف الروائي مع مجموعة من الأدباء "وضعا خطيرا للمبدع الجزائري اتجاه الظاهرة الزمنية لأن مثل هذا المبدع إما أن يكون من الذين وفرت لهم وسائل مغرية مكافأة لهم على احتضانهم للحرف الفرنسي، أو يكون من الذين جندت في وجوههم كل العقبات والعراقيل، أو من الذين قتلوا بسبب مواقفهم الوطنية الصلبة"⁵.

وأمام هذا الموقف الصعب حدد الكاتب بوجدره إطار المساهمة في الإنتاج الاجتماعي، والتأثير في عملية الوعي الاجتماعي وتسريعها. كما حدد سلاح المواجهة الذي يخدمه أكثر باستعماله اللغة الفرنسية⁶، لتتوالى كتابات ترصد تحرك المجتمع في كل زواياه حتى المظلمة منه. وقد رفع لغة شفافية لا تعترف بحدود الإخبار الواصف بل تتعداه إلى الإخبار العاصف بما قر من طقوس وعادات أصبحت من الممنوعات مساسا.

ولعل عناوين إنتاجه تحمل من دلالات الإيحاء والإسقاط ما يدعم رؤيته كروائي إلى نقد بنى المجتمع وتيار وعيه المنكسر أمام كثير من الصدمات منها:

¹ راجع روايات رشيد بوجدره، التفكك+التطليق+المرث+الإنكار.

² التبيين، مجلة ثقافية إبداعية تصدر عن الجاحظية - العدد 1994/8 ص 47.

³ المصدر نفسه.

⁴ المصدر نفسه.

⁵ بشير بوجدره، بنية الزمن في الخطاب الروائي المصدر السابق ص 63.

⁶ عبد العزيز بوباكير، "الأدب الجزائري في مرآة استشراقية"-دار القصبه للنشر- الجزائر 2002 ص 158.

- من أجل إغلاق نوافذ الحلم - شعر - (1965).
- الإنكار (1969).
- ميلاد السينما الجزائرية -دراسة-(1971).
- الحياة اليومية في الجزائر -دراسة_(1971).
- الرعن(1972).
- يوميات فلسطينية-مذكرات-(1972).
- الإرث(1975).
- الحلزون العنيد(1977).
- ألف وعام من الحنين (1979).
- ضربة جزاء (1981).
- التفكك (1982).
- لقاح -شعر-(1983).
- المرث (1984).
- ليليات امرأة آرق (1985).
- معركة الزقاق (1986).
- فوضى الأشياء (1991).
- فيس الحقد (1992).
- تميمون (1994).
- رسائل جزائرية (1995).
- رسم الشرق (1996).
- الحياة على القفا(1997).
- انبهار(2000).
- الجنازة(2005).

واعتبارا لكل ذلك، يمكن القول: إن دراسته رواية "التفكك" وفق منهج التحليل النفسي تستلزم الوقوف على مرحلتين هامتين هما:

مرحلة الارتداد الذي يشكل ظاهرة في البناء الفني للرواية الجزائرية عامة، ولرواية التفكك خاصة، وأصبح الارتداد السمة التاريخية التي يرتكز عليها كل روائي مبدع، فيتحدث عن الثروة التي يجد فيها الإلهام الموحى، المشكل للمادة الأولية، وهي ظاهرة امتاز بها جل الأدباء الروائيين، الذين امتطوا الرواية مركبا وجعلوها وثيقة تاريخية للوصول إلى إنتاجهم محاولين في ذلك رسم معاناة المجتمع من خلال شخصيات رواياتهم من تعسف، وترشيد، وقمع، وحقد، كل يصوره الصراع الذي دار بين الشعب والمحتل، ومن أولئك الروائيين الطاهر وطار في "الاز" ¹ وابن هودقة في "ريح الجنوب" ² و رشيد بوجدره في " التفكك". وبهذا فإن جل الروائيين قد زطفوا الارتداد في أعمالهم الروائية لتسليط الضوء على معاناتهم مع الماضي التهميش والإقصاء، ماضي الاحتلال والظلم، ماضي الثورة والتحرر مع كل ما يحمله الارتداد من حنيني إلى ماضي الطفولة، هذا الثنائية طبعت جل أعمال الروائيين "حتى غدت الروايات الجزائرية في معظمها، إن لم تكن كلها، روايات مادتها الأساسية سيرة الكاتب الذاتية، في صورة واقع يتم الانفصال عنه تدريجيا والتحليق في عالم الخيال الأرحب ثم العودة إلى هذا الواقع ثانية للانفصال عنه مرة أخرى" ³ وبهذا يمكن معرفة طبيعة الارتداد التي طبعت أعمال الروائي بوجدره.

إلا أن الروائي رشيد بوجدره في رواية " التفكك" أراد من خلال هذا الارتداد الوقوف على حقيقة التناقض من خلال اختراقه لمجموعة من القيم، والخوض في المسكوت عنه، فقد أتى على كسر طابوهات كان ينظر إلى المقرب منها أنه محترق. ومع ذلك فقد تجرأ وأقدم عليها، ولمس الجانب المغيب في الحركة الوطنية التي عانت من صراعات عديدة منها ذلك الصراع التقليدي بين القوة المستعمرة والقوة المستعمرة والصراع المستحدث والممثل في الاتجاهات الإيديولوجية ، كما لمسنا الجانب الديني وكفر الروائي بكل الديانات وعلى رأسها الذي جبل عليه، أهلا بالكفر أهلا" ⁴ حيث أرجع ذلك إلى تنشئته الأولى بعيد عن أمه لتطبيق والده إياها، ورأى أن المجتمع والأعراف، والدين لم تمنع اضطهده في صغره من منعه عن هذا العمل، فصور من خلال رواية " التفكك" المجتمع في صورة النتهائية- من خلال

1 انظر:رواية-اللازر-الطاهر وطار:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1978.

2 انظر:رواية-ريح الجنوب-عبد الحميد بن هودقة: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط4 الجزائر ،1980.

3 أحمد حيدوش: مجلة الكاتب الجزائري المصدر السابق، ص220.

4 رواية "التفكك" لرشيد بوجدره(الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر - 1982) ص65.

حديثه عن فترة انخراط بطل روايته في جمعية علماء المسلمين الجزائريين - الساعي إلى تجويع الفقراء والمنشغل والمتعلق حول الموائد، القابض لرشاوي الفلاحين على شكل دجاجات وما عليه من هؤلاء وهم له كارهون، كل ذلك جعل الروائي يرسم انطبعا عن طفلا يافعا، - ويكون بذلك قد أصدر أحكاما ينقصها كثيرا من الدقة حيث حكم على الكل من خلال الجزء - ولعل " هذا البناء الداخلي، لهذه الشخصيات مفارقة غريبة، جعلتها على طرفي نقيض من بيئتها ومجتمعها، وتنبئ على منحنيين خطيرين، داخل تكوينها الفكري والنفسي"¹، بل أكثر كن ذلك لازال ينظر إلى كل ما هو في كهولته إلى والده على أنه من لأصحاب البنزلة في الدين²، فهو لا يجد فرص الكتابة إلا ويصور الدين حسب اعتقاده وبنظرة الخاصة، وبهذا يكون الطابور الثاني بعد طابور السياسة، من خلال أحداث التفكك .

أما الطابور الثالث فقد تمثل في الجنس، فلغة الجنس وفعل ذلك الجنس، نجده كله متقنيا في رواية " التفكك" وفي جل لأعماله، وهذا الصراع إيديولوجي مورث وموجه من زمن ما قبل الثورة والصراع القائم بين المسلمين والشيوعيين، وقد ساعد في ذلك الأوضاع السياسية فظهر كثير من الأدباء يتحدثون في الجنس أمثال رشيد بوجدره والطاهر وطار وبن هديوة وغيرهم إلا أن هناك بينهم تفاوت، بينهم من روائي لآخر. ونستطيع القول إن إباحية رشيد بوجدره فاقت كل الروائيين الجزائريين.

إن رواية "التفكك" كان لها السبق في أن مبدعها خصها بالحديث المحرم فجمع ما بين السياسة، والدين، والجنس. عكس تلك الروايات التي خصها بالحديث عن محرم واحد، مثلما هو الشأن في رواية "الحلزون العنيد" (1977) التي مالت أكثر إلى السياسة. ورواية "ليليات امرأة أرق" (1985) الي خصصها إلى الجنس المباح. وكل من روايتي "فيس الحقد" (1992) و"الجناز" (2005) اللتين مزج فيهما بين السياسة والدين إلا أن التركيز على المحرم الثالث والمتمثل في الدين كان أكثر وضوحا فيهما. ولنضع صورة مكثفة عن رواية "التفكك" بغية تقريب أحداثها وبنيانها الفنية والنفسية إلى القارئ يمكن النظر إليها من زاويتين:

زاوية الشخصية (البطل) الباحثة عن هويتها، وزاوية الشخصية (المساعدة) المتمردة على تقاليدها، وذلك على اعتبار أنه نص كتب سنة 1982 وقد اجتاز بوجدره خلاله عتبة الكتابة باللغة العربية، بعد أن

¹ د.بشير بوجيرة:بنية الشخصية في الرواية الجزائرية، المصدر السابق ص 134.

² انظر المقال الذي خصه رشيد بوجدره لجريدة الخبر - ركن فطور الصباح _ العدد 4432، الصادر يوم 2005/06/27 .

كتب رواياته باللغة الفرنسية، مما دفع النقاد إلى اعتبارها مغامرة ناجحة في الكتابة إن على المستوى اللغوي أم على المستوى الفني أو على المستوى النفسي، وهو ما نقصده بالمعالجة في هذا البحث. وفي هذا الإطار تصورت بأن " التفكك " ينقسم إلى قسمين:

- يمثل القسم الأول مرحلة الارتداد إلى الماضي مرحلة الثورة بشيء من الحنين والأسف. أما القسم الثاني فهو مرحلة الحاضر، وأهم ما ميز هذه المرحلة هو محاولة البحث عن الذات. وتجسيد ذلك في تقسيم الروائي لأدوار الرواية على شخصيتين محوريتين، تمثلت الأولى في الشخصية الإشكالية والمجسدة في بطل الرواية "الطاهر الغمري" ويظهر تفكك هذه الشخصية من خلال مرحلة الارتداد إلى الماضي في عدم ثباتها على هوية موحدة، إذ إن البطل بدأ حياته مدرسا للقرآن، يعيش حياة فلاح فقير، ثم انخرط في جمعية العلماء المسلمين، وكان عضوا فعالا فيها، وقد تحدث عن الخروقات التي تمت باسم الدين، والتي بدرت من طرف قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أيام انخراطه في صفوفها، كما قام بوصف سلوكهم وصفا دقيقا، وتطرق إلى الحديث عن الولائم والموائد التي تلحق حولها هؤلاء، بعد ذلك خاض في الحديث عن وطنيتهم الممزوجة بالطبقية البرجوازية.

جند نفسه للدفاع عن بلاده، حيث دافع من داخل الجمعية على الفلاحين ودعا إلى التساوي بينهم، ضايق زعماء الجمعية بتدخلاته الجريئة، اتهم في الأخير بالكفر فغادر الجمعية وانظم إلى الحزب الشيوعي وناضل في صفوفه فأهله ذلك إلى إنتزاع عضوية اللجنة المركزية للحزب، ومع ذلك ضيع انتهاز فرصة التغيير وهو على رأس الحزب.

فقد الطاهر زوجته في أحداث الثامن ماي 1945 ولم يتزوج بعدها وظل وفيها لها يعيش على ذكراها ويتسامى عن هول مصيبته التي يفقد من خلالها زوجته فقط بل حتى بناته الثلاث فينزل، ويحرم نفسه من ربط علاقة شرعية بالنساء. وعظم هول المصيبة لديه حين قام البوليس باغتيال رفاقه الأربعة أثناء الثورة.

عاش بعد الاستقلال على ذاكرة الأصدقاء الأربعة يكتب ليليته في عزلة وسرية تامتين، بعد تردد طويل وإحباط دائم ظل يتردد على مقام ضريح الولي الصالح سيدي عبد الرحمان، يراقب النساء الجميلات اللواتي يأتين للتبرك والزيارة ويعود إلى مسكنه القصديري ليفرغ جزءا من طاقته الليبيدية عبر العادة السرية، هذه الطاقة منع نفسه من تصريفها عبر المباشرة العادية، وفاء لزوجته. ظل مجردا من أية

بطاقة تثبت هويته إلا من صورة تعمد إخفائها في جيبه وهو يشعر بنوع من الخفة تملأ جوانبه كونه لا يحمل بطاقة هوية¹، وهي صورة بمثابة الهوية التي تعرف على ماضيه لأنها تحمل صور الرفاق الأربعة. وأما الشخصية المحورية الثانية فتمثلت في شخصية سالمة والتي تظهر في الشطر الثاني أي في مرحلة الاستقلال، وهي شابة موظفة بالمكتبة الوطنية مهتمة بجمع

الوثائق والبيانات التاريخية، متمردة عن كل الأعراف والتقاليد، من عائلة مفككة والدها المسن يعاني من انفصام في الشخصية عمره الزمني يفوق عمره العقلي ووالدتها المتصوفة تسعى لرعاية الأخت المطلقة، التي تعمل خياطة في إحدى الورشات والأخ المدمن على الكحول والذي انتهت حياته بموت غامض، والأخ الطبيب الذي يعاني شذوذا جنسيا، بالإضافة إلى عمته التي تتزوج فهي نصف شغالة ونصف فرد من العائلة. وأخيرا أخوها حميد الذي كثر عياله وانقلب من العريضة والانحراف إلى التوبة والإيمان، فترمت وكفر كل من حوله -كما شهدت سالة له بذلك-.

وأما القسم الثاني فيتمثل في مرحلة الحاضر والمستقبل، والتي أراد لها الروائي أن تكون امتداد لارتداده إلى الماضي، أراد من خلالها تجسيد أحداث الماضي وتدوينها، أراد له أن يكون تاريخ أمة، فاختار شخصيتين اثنتين للوصول إلى هدفه والمتمثل في كتابة التاريخ. وقد تمثل في شخصية البطل "الطاهر الغمري" وهي شخصية ربطت بين الماضي والحاضر، وصراعات نفسية وضغوط داخلية وخارجية، استطاع في نهاية المطاف التحرر من الدوافع المكبوتة و التعبير عن الخفايا النفسية المختلفة لها وللشخصيات المحركة لأحداث الرواية، بل تعد ذلك في أن الروائي كشف على نواياه من خلال اختفائه وراء شخصية البطل خاصة، وتصريف بعض خفايا النفسية على باقي شخصيات الرواية، لأن "بعض الكتاب لا نكاد نفرق بين سلوكياتهم الشخصية وحركاتهم، وسلوكيات شخصياتهم وحركاتهم"² بتعاطفه مع هذه، وتجاوزه عن سلوك تلك ومهاجمته لأخرى، وحقده على شخصيات معينة. لمسنا ذلك ونحن ندرس سلوك البطل من خلال الأحداث، فكانت الشخصية المركزية لأحداث الرواية.

كما أن رحلة البحث عن الذات وجدها البطل بعد عزلة مستديمة في شخصية سالمة، التي تمكنت من اسدراجه للتعبير عما يدور بداخله، وبذلك يدخل مرحلة النقاهاة التي مكنته من التخلص من الكبت الذي لم يجد الوسيلة في تصريفه إلا بعد تردد هذه الشخصية عليه، وبالتالي انكشف سر إنكاره لهويته، ولم يتأت له إلا بعد أن أسقط

1 رواية التفكك ص 5.

2 أحمد حيدوش: مجلة الكاتب الجزائري، المصدر السابق ص 215.

حالات الإحباط، والضغط، والصراع التي عان منها طويلا.

واستطاعت في الوقت نفسه رسم بناء نفسي لهذه الشخصية والتي ارتكزت قاعدته على شخصية منقسمة إلى شخصية لم تستطع تصريف الطاقة الكامنة داخلها، تمثلت في شخصية الطاهر الغمري، طوال احتفائه بذاكرة أحداث الماضي، وشخصية علاجية مصرفة لهذه الطاقة المكبوتة، تمثلت في شخصية سالمة، التي استطلعت حثه على القيام بعملية التفريغ التي عانت منها شخصية البطل، فكان إسقاطه ماثلا في تمرد سالمة على عاداتها تقاليدها وتحررها من ضغوط عرفتها شخصية البطل، واستفاد من تحررها، إذا استطاع مراجعة أموره مع ماضيه وتغلب على دوافعه المكبوتة التي كانت حاجزا بينه وبين كتابة التاريخ. هذه الضغوط جعلناها محور بحثنا من خلال الدراسات النفسية لرواية التفكك والتركيز على شخصية البطل.

ويمكن تلخيص أحداث الرواية من خلال الشخصيات الموجودة على الصورة الشمسية التي كان يحملها البطل على النحو التالي:

- بوعلي طالب: اللحام المناضل: اشتغل بتصليح أجهزة الاتصال وبزراع القنابل إلى أن مزقت أشلاءه وهو منهمك بزرعها.
- محمج بودربالة الملقب بالألماني لصق به هذا اللقب بعد أن تم الإفراج عنه من الأسر الألماني بالإضافة إلى بنيته المرفولوجية ولونه الأشقر.
- أحمد إينال الملقب بسيد أحمد: معلم اللغات ومنظم خلايا الحزب شارك رفاق النضال، ألقى عليه القبض وأحرق حيا بعد أن عذب.
- الدكتور كينور الملقب بالحكيم: اهتم بمعالجة الطاهر من مرض السل كونه مختصا في الأمراض الصدرية عالج الثوار، وأخلص للثورة فكان جزاءه الذبح بسكين حافية.
- الطاهر الغمري: هو الوحيد الذي نجا من فخ الاغتيال¹.

ولعل أول اهتمامه الروائي هو طريقة تقديم شخصياته للقارئ، كونه المحرك الأساس لأحداث الرواية فهي "تبث الحركة فيها وتمنحها الحياة"² كما أنها "تحمل فكرة مبدعها وتقود إلى القدر المحتوم، فهي التي تصارع فتتهزم أو تنتصر في النهاية وهي التي نتعاطف معها تبعا لموقفها من خلال

1 أنظر: شايف عكاشة: مدخل إلى عالم الرواية الجزائرية، قراءة مفتاحية-منهج تطبيقي-ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1990.

2 د. محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الثقافة، لبنان ص 9.

الأحداث"¹، فالأحداث وحدها لا تكفي لكتابة رواية، ما لم تقم الشخصيات بربط هذه الأحداث فيما بينها، وهو ما سعى إليه الروائي بوجدة في "التفكك" شأنه شأن كل روائي في اختيار شخصيات تعكس كل واحد من أفكاره.

من هذا المنطلق وجب التعرف على شخصيات "التفكك" ومناقشة من حين إلى آخر مدى تطابق أدوارها المادية والنفسية للأحداث التي رسمها لها مبدعها، وذلك راجع لقناعتي في كون اختلاف سلوك وطريقة تفكير الشخصيات أمر عادي فالروائي يتمتع بحرية نسبية في تحميل شخصيات بعض أفكاره وسلوكاته وتصرفاته حسب ما يراه مناسباً لمقامها، ولن نعرف ذلك ما لم ندرس شخصيات هذا النص التي يتقدمها:

الطاهر الغمري:

ظهر الطاهر الغمري في بداية الرواية منقسماً على ذاته بين الماضي والحاضر، فاقتدا لهويته، متحرراً من أية بطاقة تعرف عليه، إلا من صورة شمسية كان يحملها في جيبه، وعليها صور الرفاق الأربعة (سيد أحمد إينال، أحمد بودربالة، بوعلي طالب والحكيم كينور)، "إيغلا من الروائي في فصل هذه الشخصية من الضمير والواقع الشعبيين"² ومع ذلك استطعنا من خلال تسلسل أحداث الرواية التعرف عليه.

بدأ الطاهر الغمري حياته كفلاح فقير بين المعوزين ، ثم تعلم القرآن فأصبح مدرساً له، انخرط في صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قتلت زوجته وبناته الثلاث في أحداث ماي من سنة خمس وأربعية، ولم يتزوج بعداً وفاء لها.

ظل يناضل من داخل الجمعية، يساعد الفلاحين الفقراء، بمدهم تعاليم الدين ويدافع على حقوقهم، فكان بمثابة محاميهم لدى قادة الجمعية إلى أن خلاف بينه وبين هؤلاء القادة، حين استبد بعض أعضاء الجمعية بالعقول والأملك، واتخذوا الدين مطية لقضاء مآربهم، فأراد أن يسترجع جزءاً من أملاكهم وجادل القادة في خدمة الأرض يقوله "الأرض لمن يخدمها" واتهموه بالكفر والإلحاد.

¹ مريدان عزيز: القصة والرواية، المصدر السابق ص 62.

² د. بشير بوجيرة محمد: بنية الشخصية في الرواية الجزائرية، المصدر السابق ص 32.

كانت هذه الحادثة نقطة تحول في حياة البطل، فبعد أن كشف حيل هؤلاء وأعاب عليهم تحليقتهم حول الموائد التي أعدها لهم الفقراء، ليس حبا فيهم وإنما طمعا وخوفا منهم، تطرق إلى الجانب اللاأخلاقي الذي كانوا يعيشونه، انضم إلى الحزب الشيوعي، عاش مناهضا لأعضاء الجمعية، فكان له أن انتزع عضوية اللجنة المركزية للحزب، وتعرف على رفاقه سيد أحمد إينال، أحمد بودريالة، بوعلة طالب، والحكيم كينون، وشاركهم في الثورة التحريرية، وكان دافعهم التسليح بمبادئ الحزب وأهدافه العقائدية، وتطبيقه بعد الاستقلال.

وعلى الرغم من مرض السل الذي عاناه إلا أنه استطاع تحقيق بعض لأهدافه، تمثل ذلك في طرد المستعمر، بعد أن دفع المجتمع ضريبة باهضة على المستوى الجمعي (مليون ونصف مليون شهيد) أما على المستوى الفردي، فإن البطل فقد رفاقه الأربعة، حيث ماتوا، بل أوصله اليأس إلى حد الشك في نضاله.

أما من مرحلة الاستقلال، فلقد عاش البطل في أحد أحياء العاصمة في عزلة تامة عن المجتمع، مستقلا بين بيته القصديري، والميناء لحلب البقرات، والتردد على ضريح الوالي سيدي عبد الرحمان لمراقبة النساء. إلى أن تعرف على شخصية سالمة، والتي رفض الاحتكاك بها لما يعانيه من صراع داخلي نحو الجنس الآخر، وبفضل إلحاحها وفضولها جعله يتنازل عن عزلته. واعتادت سالمة على زيارة الطاهر في بيته، فمكث ذلك ربط علاقة حميمة بها وعض فيها الجانب المغيب فيه، ذكرته بالزوجة، بالبنات وبالرفاق، وحتى بالأفكار التي كانت يحملها والمماثلة لأفكار إضافة إلى ذلك وجد فيها ما كانت تتوق إليه من تحرر وتمرد على أكثر من صعيد (الجنسي والسياسي والأخلاقي).

استطاعت سالمة إخراج البطل من عزلته، وجعلته يعكف على كتابة التاريخ التي تمثل في ليلياته، ويوميته، بعد أن عزم عن ذلك طويلا. اشتد عليه المرض الذي كان يعاني منه أثناء الثورة -مرض السل -ورفض الاستطباب وفاء لرفيق دربه الحكيم كينون، حتى الطبيب لطيف أخو سالمة رفضه. أملا أن تتحقق أمنيته التي عاش عليها "ليظمني ظلهم" والتي نقش على طاولة بيته، وكان له أم مات ميتة شبيهة بما عليه الرفاق، مات يسبح في دمه.

إن ما يلاحظ من خلال البعد النفسي على شخصية البطل أنه يعاني اضطرابا نفسيا، مثقلا بالتمزق، والتشتت بين الماضي والحاضر، فاقد هويته، ذلك رمز على تغييب الذات، أدى به إلى التمرد والانحراف، والشذوذ الجنسي، ناقدا للسلطة معاكسا لها، مشاغبا، ثائرا على توجهاتها في سياسة البلاد بعد الثورة، نادما على تفريطه في حسن قيادة الحزب، محبط النفس لاجتماع الصراع الديني بالصراع السياسي والصراع الجنسي.

ولعل أول ما يشار إليه رواية " التفكك" الجانب النفسي الذي ظل البطل يعيش من خلاله صراعا داخليا، يجمع مطالبة الغريزية ويكتبها تحت ضغط العمليات يعيش من خلاله صراعا داخليا، يجمع مطالبة الغريزية تحت ضغط العمليات النفسية¹ الثلاث، بين (الهو) الذي ينزع لدى البطل إلى تفريغ كل ما أكتسبه من خلال ماضيه، باعتبار أن (الهو): "يعني الماضي، ويمثل ميراث الأجداد، وما نولد به من مكونات نفسية وراثية"¹، حسبه في ذلك تلبية للرغبات والدوافع الغريزية الخاضعة لمبدأ اللذة، وبين (الأنا) الذي يسمح بإشباع غرائزه على أخرى، محترما في ذلك مبدأ الواقع، الذي لم يعرف الطاهر الغمري بطل الرواية سبيلا له- الواقع - حتى يتمكن من تصريف طاقته الليبيدية، وبين (الأنا الأعلى) الذي يشعر فيه البطل من خلال الرواية بالامتثال إلى الجانب الخفي.

ويرى التحليل النفسي أن (الأنا الأعلى) ينمو من تشبع الطفل بالمبادئ الخفية المتمثلة في أوامر ونواهي الوالدين والامتثال إلى القيم الاجتماعية والدينية، ويعوض تأنيب الضمير لدى الفرد البالغ الامتثال إلى أوامر الوالدين. وفي ذلك يسعى البطل من خلال هذه العمليات إلى إرضاء الضمير والابتعاد عن اللوم والتأنيب.

وفي خضم هذا الصراع الداخلي يجد الطاهر الغمري نفسه بين مقاومة (الأنا الأعلى) (للأنا) والعكس. فإن حدث وهيمن (الأنا الأعلى) على (الأنا) تولد انسجام بينهما لديه أحس اللذة، أما إن لم يستطع (الأنا الأعلى) السيطرة على (الأنا) فيتحول (الأنا الأعلى) إلى مقام (الأنا) بل يتعداه حتى إلى مقاومة (الهو) "فيسمح للهو بأن يحقق عمله ورغباته، ولهذا فهو يحاول أن يعطل مبدأ اللذة، كما أنه يسيطر على (الأنا الأعلى) ويوجه اللوم له والشعور بالذنب إن صدر من الأنا عملا لا يروقه"² من ذلك يتبين الصراع الذي عاناه البطل؟ والخوف الذي استبد به وأحاطه به الذي أفقده نعمة الأمن والاستقرار

¹العمليات النفسية

2 المصدر نفسه.

لأن الخوف "إذا استبد بالإنسان أفقده الكثير من مقومات الرجولة وأحدث خلا خطيرا في حياته الشخصية والاجتماعية"، فكان لزمنا على الروائي إدراج شخصية معوضة لشخصية البطل تلعب دور صمام الأمان، تمثل ذلك في شخصية سالمة.

سالمة:

هي شخصية مساعدة ومعالجة للبطل، تنتمي سالمة إلى أسرة مفككة، أم ورعة في الدين إلى حد التصوف، وأب بعقلية طفل صغير، وهو ما يسمى في التحليل النفسي بعدم توافق العمر الزمني بالسن العقلي. والأخ الأكبر سكير والأخ لطيف شاذ شذوذا جنسيا، وأخوها حميد متدين إلى درجة التنطع، وأخت مطلقة والعمة فاطمة نصفها عنصر من العائلة والنصف الآخر شغالة، وهي لا تحترم الشعائر والطقوس الدينية "لا تصوم، ولا تصلي، ولا تريد الحج إلى مكة والمدينة"¹ وتقول الكلام الفاحش.

سالمة شابة موظفة بالمكتبة الوطنية مهتمة بجمع الوثائق والبيانات التاريخية متمردة على كل الأعراف والتقاليد، كما يبدو تفكك تركيبة التنشئة العائلية على أفراد العائلة، ابتداء من التخلف العقلي الذي يشكو منه والدها، مروراً بوالدتها المتصوفة التي تسعى لرعاية الأخت المطلقة، بالإضافة إلى تمسكها بمبادئ الدين والعرف والتقاليد، إلى الأخ الأكبر المدمن على الكحول والأخ الذي يعاني شذوذا جنسيا، وحتى عمته التي لم تتزوج وهي سليطة اللسان، ساهمت بقدر وفير في الانحلال الأسري، من خلال سبها وشمها بأقبح الألفاظ. وأخرا أخوها حميد المتزمت، وصولا إليها هي نفسها التي لم ترع الجانب الأخلاقي وتناولها على كل ما هو مقدس.

دخلت سالمة حياة الطاهر الغمري وتوالت زيارتها لبيته القصديري، أحس بضيق تجاهها في البداية لكن سرعان ما انقلب ذلك الإحساس لديه بشيء فيه من التعويض ما يخفف كثيرا من عزلته، كما وجد فيها الطريقة التي من خلالها يعوض ما فقده (الزوجة والأهل والأصدقاء الثورة). فالفرد يحن عادة إلى مهد ذكرياته، ويتعلق بأماكن لعبه ولهوه، والبيت القصديري الذي يسكنه الطاهر صنوا للكوخ الذي شغله في ماضيه، فهو يمثل جزءا من ممتلكاته التي يعتز بها ويرتد من خلالها إلى ماضيه الذي لطالما شده الحنين إليه، فجعل من هذا المكان يحمل ثنائية، جمعت بين الحنين لزوجته مجسدة في شخصية سالمة، والحنين إلى ماض الطفولة مجسدا في المكان، حين قبل بعد تحفظ أن يقاسم سالمة

¹ رواية التفكك ص 213.

همومه " وينفس كل واحد منهما عن الآخر حين تجمعهما أحاديث طويلة ومتشعبة"¹ لأجل ذلك سعت سالمة إلى إخراجها من عزلته مستدرجة إياه بجملة من الأسئلة، عن ماضيه، عن رفاقه، وحتى عن طريق كتابه التاريخ، إلى أن تمكنت من معرفة ما يدور في أغوار نفسه، بلوها ومرها مازجا ذلك بالحنين وتأنيب الذات، والاستسلام إلى اليأس، مع ذلك ظلت بحاجة إلى معرفة المجهول الذي ظل يكتبه سنين طويلة، فتستفزه، وتشعره بالعجز والتقصير، وتبدأ تقص عليه مرة أخرى حياتها ويوميات عائلته، محاولة بذلك تحفيوه وإثارتة على الاسترسال في الحديث عن ماضيه، والافصاح عما بداخله من أسرار، تسأله وتستفزه من حين لآخر احتدام النقاش بينهما، ويصل ذلك إلى القطيعة.

وأثناء هذه القطيعة "يتعرف الإنسان على نفسه وعالمه من خلال جدل طبيعي بين ذاته ووجوده"² في هذه الفترة يراجع كل منهما حساباته فينتابهما الحنين إلى بعضهما، وتعاود سالمة الكرة بعد أن وضعت كثيرا النقاط على الحروف وأدركت دورها في حياة الطاهر متسلحة بالمبدأ القائل "أليس من الشجاعة أن نواجه الحقيقة وأن ندفع بها دائما إلى ساحات شعورنا لنعيش دائما في ظلها لا في ظل الزيف والخداع"³، فتزوره وتقص عليه حياتها، ليروي هو حياته إلى أن توصلت إخراجها من حالة التثبيت التي عاشها، ويقتنع بحديث سالمة ويصبح شخصا آخر، ويتغير بذلك شكلا ومضمونا من تغيير ملمحه بقس الشارب وتطهير الجسم، إلى التخلص من آثار الماضي، الذي لم ينسه وراح يداوم على كتابة ليلياته وأيام الرفاق، وحسرتة على تضييع فرصة قيادة الثورة، ومساره النضالي، وتعلقه بزوجته وبناته وغير ذلك من الأحداث التي عاشها. وبذلك استطاعت سالمة الوصول إلى مبتغاها، وما هي تقرأ بعد موته ليلياته ويومياته وتعيد قراءتها وتظفر بسبق تمثل في كتابه التاريخ.

يبدو أن شخصية سالمة تشكو عدم التوافق النفسي، وقد ظهر ذلك من خلال الصراع الحاد في عملياته النفسية بين الأنا والأنا الأعلى والهو. فهي تعاني ضعف رقابة الأنا الأعلى الذي كان يمثله الوالدان في حداثة سنها، والذي مثله ضمير في رشدها، حيث أصبحت لا تعير للقيم اهتماما ، ولا تبالي بما هو محرم وممنوع من سلوك وأقوال. كما أنها أصبحت خاضعة إلى "التراكمات النفسية والاجتماعية، الماضية الناتجة عن تصادم الأزمنة، ونتيجة للتكوين النفسي للشخصية ذاتها، تفجرت هذه الشخصية من

¹ رواية التفكك

² المصدر نفسه

³ المصدر نفسه

الداخل من العمود الفقري لناموس الوجود، ومن البؤرة التي تمجد البرجوازية، التي هي العقل¹ بهذا جاء تمردها طبيعيا على الماضي وعلى الأخلاق والعادات وحتى على الدين، فظهر الصراع البرجوازي لديها، وهي التي تمثل الطبقة البرجوازية الصغيرة القائمة على "فكرة الصراع بين القديم والجديد في الجوانب الفكرية أكثر من الجوانب المادية، لكل ما تحمله تلك الجوانب من حب المحافظة على التقاليد والعادات"²، وغاب بذلك كل ما هو مقدس لدى المجتمع عندها.

وبغياب ذلك تعارض الهو مع نزاعات التحريم الخلقية، والمائل في تمردها على المجتمع، واستهتارها بكل ما هو مقدس، وتهكمها على أسلافها، كما أنها لم يؤنبها ضميرها وهي تخترق طابو الجنس باقتربها من العملية الجنسية، والمائلة في معاطاتها أقرص منع الحمل، أو سلوكها وأقوالها الفاجرة لأولئك المعاكسين لها. أو مباشرتها العملية. وما دام الأنا عندها ضعيفا، فقد ظهر عليها صراع داخلي كبير، انعكس في سلوكها الشاذ، المخالف للمجتمع، لأنها تكون بذلك قد خالفت الأفراد الذين يكون الأنا الأعلى عندهم مسيطرا، فيتمسكون بالقيم الخلقية، والعفة إلى حد كبير. وعلى العكس من ذلك فالشخص الذي يكون الأنا الأعلى قويا عنده يجعله يعيش في منأى عن كل حافز جنسي أو عدواني، ويبعده عن الشذوذ.

وما يمكن استخلاصه عن نفسية الشخصية أن الهو كان مسيطرا على سلوكها، وظهر ذلك في تمردها، وتناولها، وانغماسه في كل ما هو محرم، والتباهي بالعمل الجنسي، كل ذلك حول نفسية هذه الشخصية التي ينظر إليها التحليل النفسي على أنها تعيش شذوذا نرجسيا، بحيث أن المصاب بهذه العقدة لا يخدم صاحبها إلا نفسه، همه في ذلك إشباع الدوافع الغريزية، وعدم الاهتمام بما يترتب على تصرفاته وسلوكه. وإن أبدى هذا الفرد نوعا من التعاون - كالذي قامت به شخصية سالمة -، لا يكون ذلك إلا من الجانب النفعي الملائم لغريزة هذه الشخصية والمنافية لقيم المجتمع.

أحمد بوجريالة:

لم يكن ألمانيا إنما ألصق به هذا اللقب لكونه أسيرا في ألمانيا أيام الحرب العالمية، كما كان قوي البنية أشقر الشعر أبيض البشرة، أزرق العينين، رجل طيب النفس يحب العلم ويحث عليه، يتبين ذلك مع رفيقه بوعللي طالب إذ كان محفزا له على طلب العلم ليلا ويعلمه اللحامة نهارا في ورشة صغيرة يمتلكها ليتركها له فيما بعد.

¹ د. بشير بويجرة محمد: بنية الشخصية في الرواية الجزائرية، المصدر السابق ص 32.

كان بودريالة يعلم صاحبه على مرأى ومسمع عامة الناس من بطالين وموقوفين ومنغبيين وكادحين وسوقه وزوافره، تشبع بوعلي بمبادئ الشيوعي من معلمه ما جعله ينظم إلى الحزب الشيوعي.

أما شخصية بودريالة السياسية فمعروف عنه أنه محلل للأفكار السياسية بطريقة مباشرة كتفسير للصراع الطبقي وشرحه لاستنتاجات الحرب العالمية الثانية. مما أدى إلى ظهور هذا "الإنسان الذي تكونت لديه معتقدات اجتماعية واقتصادية وفكرية، ويرى ضرورة تطبيقها على الواقع"¹، وقد أقدم على دس هذه المعتقدات بشكل غير مباشر مفسر لها من خلال قصة سندباد البحار وحكاية رأس الغول وسيدنا علي وخرافه سيدنا موسى وهو يقطع البحار راجلا، كل ذلك يتم داخل فندق السعادة أو وكالة الهناء وكثيرا ما كان صاحب الفندق يجد نفسه في مأزق بين رغبتين متصارعتين - وذلك لما يتعالى الضجيج وتعم الفوضى - رغبة في الاستفادة من زبائنه وغيظ الطرف عما يقومون به من أمور السياسية فكان يتدخل من حين لآخر طالبا منهم خفض أصواتهم خوفا من الشرطة وأعاونها من العملاء وقد كان هو نفسه يتعامل مع مصالح المخابرات، وكان ذلك على علم الجميع. مات بودريالة شر ميتة، مات مذبوحا بموس حادة قاطعة.

ما يمكن قوله عن هذه الشخصية هو إنه يعد المفكر المؤمن بالعقيدة الماركسية، المحفز لليد العاملة، والمناهض لتعاليم الدين، المشكك في العقيدة الإسلامية، ذلك ما ظهرت عليه هذه الشخصية من خلال تسلسل الأحداث، فسيدنا علي كرم الله وجهه عبارة عن أسطورة خيالية، شأنه في ذلك شأن الغول الذي يحمل صورته البشعة كل طفل في خياله. كما أنه ينظر إلى حادثة شق البحر لسيدنا موسى، على أنها مجرد خرافة.

إن المنتبغ لهذه الشخصية يجد أن البطل الروائي أثناء وصفه لها قد حملها كثيرا من أفكاره العقائدية، المتجلية في صراع المعتقد، الذي عاناه والذي نتج بعد الاحتكاك بالمعتقد الغربي لأن " التأثير بالتيارات المادية أدى بالضرورة، إلى الوقوع تحت تأثير الحزب الشيوعي الفرنسي في الكثير من المواقف (...). وأيدتها النخبة المثقفة البرجوازية الجزائرية "²، وبالتالي فإن هذه الشخصية حملت موقف صاحبها نحو الدين والعرف، والتقاليد، شأن هذه شأن مثيلاتها التي تخفى الروائي وراءها لتبرير أفكاره، ذلك ما سوف نتطرق إلى الحديث عنها في أوانها، وفي الوقت نفسه نجده متعاطفا مع شخصيات أظهرت كثيرا من نزعتة ونحن نقف على الكثير من الرموز الدالة على ذلك كقوله، رجل طيب النفس، يحب العلم، وهي عقدة نقص عند الغمري، أو كقوله ذكي، يصارع العملاء.

1 د. بشير بوجيرة محمد: المصدر السابق، ص 49 .

2 المصدر نفسه، ص 49 .

بوعلي طالب:

المناضل الواعي العامل اللحام في النهار طالب العلم في الليل، كان في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ليتحول إلى الحزب الشيوعي بعد أن تعلم الشيوعية على يد معلمه الألماني. وكان يتصل بالثوار في المناطق التي بها آلات الإرسال والاستقبال والأسلحة والمدافع، ثم يعود إلى ورشته لينتظم على الشبابيك. كان يصنع القنابل والعبوات الناسفة، وبعد الانتهاء من صناعتها توضع في قرطلة من التين أو العنب أو البرتقال حسب الفصول ويدفعها إلى المناظرين. تردد بوعلي على المنطقة الغربية من البلاد فهو الفلاح الفقير الأمي الذي صاحبه الألماني وقد جاء من الريف إلى المدينة ليعمل ويبعث بما يسده وذويه انتقاء الجوع والفاقة². وهو صاحب الحس المرهف، لا تكاد الصغيرة تفارقه تلك الصبية التي طلبت منه بكلمات متزأنة لا يسمعه معناه "أعطيني زهرة جميلة من هذه الزهور... أعطيني... وهو يهم بتقجير بالمدينة وكان قد دس القنبلة داخل باقة كبيرة من الزهور التي راحت الطفلة".

مات بوعلي وهو يصنع القنابل اليدوية والقنابل المؤقتة، أتى من جهات المدينة لتشجيع جنازته، تجمهر حول جنازته فلاحون وفقراء، منعهم فاخطفوا النعش وهربوا به ودفنوا كومة اللحم التي بقيت عند ذات المفعول الشديد، دفن في مقبرة لا يعرف أحد مكانها، ورفض الأئمة بحجة انتماؤه إلى الحزب الشيوعي، والشيوعيين في نظرهم يجرون في النار، أو خوفا من انتقام الشرطة، فاهتدوا إلى فكرة اختطاف إمام المسجد الكبير الذي صلى عليه مكرها.

إن ما يعكسه البعد النفسي للبطل من خلال وصفه لهذه الشخصية يتمثل في النزعة الشيوعية المعتمدة على اليد العاملة في الحرب وفي السلم، بل إنه ينظر إلى أن بناء المجتمعات لا يتم إلا بها، وبذلك تظهر نزعة الإقصاء والتهميش للآخر. إضافة إلى ذلك أنه يظهر " مشروع الثورة عند هذه الشخصية (الذي) يقوم على العمل المسلح سرا وعلانية في جميع الأوقات"¹، إذ إن العمل السري تمثّل في صناعة العبوات الناسفة سرا في ورشة اللحامة، وزرعها في أماكن تواجد العدو. أما العمل العلني فقد تمثّل في حمل السلاح في وجه العدو في الجبل، هذا ما عكسه "الظاهر" في صورة اللحام بوعلي طالب، وكأنه حاول محاربة " سلبيات الواقع قصد الانتقال بهذا الواقع من حالة الانغلاق إلى حالة أخرى أكثر نقّتها وإنسانية، زمن ظروف السيطرة والكبت إلى ظروف الحرية والمساواة"²، إذ إنه في الوقت نفسه

1 د.بشير بويجيرة محمد: المصدر السابق ص 86.

2 المصدر نفسه، ص 75.

مرهف الحس في مواقف الإشفاق، ذلك ما عكسه تأنيب الضمير، والشعور بالندم في حادثة مقتل الطفلة الأجنبية التي طلبت منه زهرة من الباقة الكبيرة التي دس بها القنبلة الموقوتة، ووضعها في النزل التي كانت متواجدة وأهلها به.

ومع أنه كان في تأدية واجب النضال إلا أن لازمة الشعور بالذنب استولت على تفكيره، وجعلته يظل على حالات من الاكتئاب في نهاره، ويبيت ليلة مستسلما للهواجس العالقة بذهنه جراء صورة الطفلة التي لم تفارقه حتى موته.

الحكيم الأجنبي:

الدكتور "كينون" الملقب بالحكيم، شخصية أجنبية إلا أنها تعيش على مبادئ الثورة الجزائرية والوفاء لها، أحب الثورة والثوار. فهو طبيب مختص في الأمراض الصدرية رجل طيب عالج الطاهر الغمري، وكان وفيًا له، عالج الفلاحين والفقراء. اهتم كثيرا بالثورة ومصير الثوار، تجده كلما التقى الطاهر إلا وردد عليه السؤال نفسه: كيف حال وردتيك ومصير هذه المرة؟ وكان يشجعه حتى وهو مريض على النضال بقوله: "كفاحنا أعطى نتائج خارقة... كيف الحالة في منطقتك، الأوضاع صعبة، هل يفهمون من أحاديثك؟ يجب إنقاذهم بالطاهر... أنت منهم وأدرى بهم... حدثهم عن الاستقلال عن الفقر، عن الجنة التي لا يجب أن يدخلوها وأمعأؤهم نعوي... أنت أدرى... ووردتيك في تحسن مستمر... لكن الآخرين...". فيتعلق به الطاهر أكثر فأكثر ويرى فيه الوجه الآخر للأوروبي وجه الوداعة والتعاون وحب الآخرين، غير ذلك المستعمر الذي جاء ليهلك الحرث والنسل، فيقول فيه: "أمن والتزم بقضيتنا، كان منا محاربا طبيبا، رفيقا، أخا، يتكلم أحسن من بعض الإخوان، كان أمميا، رجلا صنديدا، عملاقا أطول من الألماني يكره الاستغلال... لا ينام وتجده يقول: هل من وقت لدي والموت من ورائي؟ يقولها وهو يضحك، ومع ذلك فقد ذبح بسكين حافية عمدا على الرغم من وفائه للثورة والثوار".

إن المطلع على شخصية الحكيم من خلال أحدث الرواية يتبين الجانب النفعي المتبادل بين الطرفين. فالطاهر الغمري يعد الوعاء الموصل لأفكار الحكيم إلى الفقراء الفلاحين، كما أن هذا الأخير ينتفع منه الطاهر والفقراء الفلاحين من العلاج المجاني، من الوجهة الحزبية.

وفي الوقت ذاته فإن الحكيم قد جسد الوجه الآخر لصورة الأوروبي المسامح المتعاطف مع الفقراء من وجهة نظر البطل. عكس ذلك الذي قدم من وراء البحر شاهرا سلاحه على الشعب فقتل وذبح وشرد.

وما يلاحظ على حديث الروائي وهو يتحدث على لسان بطله في وصف شخصية الحكيم الأجنبي (كينون) يتبين أنه "يحمل في طياته مظاهر تعاطف كبير تجاه هذه الشخصية (...). وذلك حين جعلها

تؤثر إيجاباً¹ في المسار السردى للأحداث، فهل هذا التعاطف ينظر إليه بالمعنى القريب ونسلم على أنه تعاطف البطل؟ أم أنه في حقيقة الأمر تعاطف الروائي؟ وهو الذي " يؤمن بالأيديولوجية الأممية، التي لا تعطي أية قيمة للحدود الجغرافية، بل تعتمد الفوارق الطبقيّة حدوداً بين بني الإنسان"²، ذلك ما ظهر من مواصفات النبل والتسامح وأنها "أعمق إنسانية وأثبت موقفاً من الشخصية الوطنية"³ ذلك ما جسد الروائي، البطل وهو يرسم بناء هندسياً للحكيم الأجنبي. الذي استطاع في نهاية المطاف أن يكشف عن كثير من نواياه، ومن ذلك الجانب النفعي المؤدي إلى ترسيخ مبادئ الحزب الشيوعي الفرنسي في الطبقة المتقفة الجزائرية، بل وحتى في صفوف الفلاحين الفقراء، من خلال الدفع بالطاهر الغمري إلى توعيتهم.

سيد أحمد إينال:

كان أستاذاً في ثانوية البنات، كان يعلم البنات ويدربهن على سباق الألف متر، كان عداء مشهوراً وبطلاً متواضعاً، انقطع عم العدو بعد أن هزمه العداء البلجيكي في بلده وأمام مواطنيه، واكتفى بتدريب البنات وتنظيم خلايا الحزب داخل المعهد حيث كان يدرس، التحق بالمقاومة. وكانت له مسؤولية كاتب المنطقة يحمل حاجتين اثنتين لا تفارقه أبداً: حقيبتيه حيث يضع فيها الملفات والوثائق والخرائط، وابتسامة عريضة حيث يضع رقبته وشعوره، وخفة روحه، وإيمانه بالقضية.

صبر سيد أحمد على التعذيب بعد أن ألقى عليه المستعمر القبض ولم يكن لينبس ببنت شفة لقد مقت العدو واحتقره، ولا بد أنه تذكر ذلك اليوم الذي انهزم فيه أمام العداء البلجيكي، صمد أمام التعذيب، بعد أن تعرض إلى نزع الأظافر وقطع الأيدي، ولم يتوقف حقد العدو عند هذا الحد بل فقا له العين الأولى ثم الثانية، صبر للتعذيب عشرة أيام ثم أحرق حياً في ضيعة معمر.

ما يمكن قوله من خلال الإسقاطات النفسية للبطل على هذه التي تؤدي النزوع إلى التحرر، ذلك جراء ما لحق البطل من عزلة، وخوف واضطراب بعد موت الرفاق، ولعل ما يشير إلى هذا التحرر ممارسة أحمد إينال الانعتاق التي تآقت إليه نفسية الطاهر كثيراً، إضافة إلى هذا أن هذه الآثار بمثابة المولد الفكري للطاقة الحزبية، فهو أستاذ يعد جيل المستقبل الحزبي، عن طريق مدهم بالأيديولوجية المحببة لدى البطل.

¹ المصدر السابق، ص 75.

² المصدر نفسه، ص 193.

³ المصدر نفسه، ص 193.

كما ينظر إليه على أنه الجانب التعويضي لنفسيته، فهو كان مدرس لم يرق إلى المستوى الذي وصلت إليه هذه الشخصية. ووجد البطل في شأنه الجانب المكمل الذي عجز في تحقيقه، وتقليص الفرق بين مدرس المدن والأرياف، وأستاذ ثانوي ينظم خلايا الحزب من داخل المعهد، وهذه العقدة على البطل تضاف إلى عقدة الإحساس بالنقص، نحو الرفاق .

أراد الروائي خلال تقديمه لأحداث شخصيات رفاق البطل أن يطلع القارئ على صور الصراع القائم بين الطبقة السياسية التي قامت (بينها) من خلال الثورة...، مما دفع بالروائي الجزائري إلى مناقشة بعض الخلافات من خلال شخصيات تتبنى إيديولوجيات مختلفة¹، ذلك ما رماه تصوير الصراع القائم بين الشيوعيين، والذي ظهر جليا على شخصية بودريالة، بوعلي، الحكيم، وسيد أحمد) من جهة، والإصلاحيين من جهة أخرى موجهة من طرف الكاتب وجد القارئ نفسه أمام " المضامين التي تشكل العلاقات الاجتماعية التي تربط بين شخصيات هذه الرواية، التي يتجلى في بعض الربط الاجتماعي بماضيه"² كالفقر والظلم والحرمان، الذي بدا ظاهر على البطل.

ذلك لم يقصروا وهم "الذين قادوا النضال ضد الاستعمار بروح وطنية، وبالقتال وسط بحر من الدماء لا عن طريق المداينة السياسية"¹ ذلك ما برر ارتداد البطل المتكرر إلى الماضي والحنين إليه.

لطيف:

لطيف أخو سالمة طبيب يشكو شذوذا جنسيا فهو يعاني الجنسية المثلية، عاش يقبل بالشراسة الاجتماعية والفظاظة السادية، يعوض كل ذلك براحة البال والاطمئنان مختص في أمراض النساء يعمل بمستشفى حكومي، ينظر إلى وضعية المثقف في البلدان المتخلفة على أنها قاسية مزرية ويتمنى ألا يعرف في هذه البلاد شيئا ولا يفهم شيئا، وينظر إلى عملية الإنجاب على أنها تخلف، كما يشبه النسوة اللواتي يترددن على المستشفى لوضع حملهن بالأرانب اللائي يلدن كل شهر وهن فخورات بتحطيم أرقامهن القياسية كل سنة.

ومن هنا يمكن القول: إن لطيفا "لا يحمل من طبخته الاجتماعية وواقعية العربي إلا الاسم"³ فهو شخصية سلبية لذاتها، لم يتزوج، ولم يعرف للاستقرار الأسري طعما، واتخذ نهج الشذوذ وسيلة لإشباع

¹ د.بشير بوجيرة محمد: المصدر السابق، ص 50.

² المصدر نفسه، ص51.

³ المصدر نفسه.

نزواته الجنسية، كما يعتبر شخصية مدمرة لمجتمعها، حين سعى جاهدا للحد من عملية الإنجاب بالدعوة إلى عمليات الإجهاض، والتشجيع عليه، عبر عمليات التحسيس، ومقالات الصحف والمجلات التي منع الإعلام الجزائري صدورها.

شخصية لطيف متناقضة فهو يميل إلى الجنسية المثلية وأحب شابا وعشقه، ولا يرغب في ربط علاقة بالجنس الآخر، ولما اكتشفت سالمة شذوذه وأباح لها برغبته في الجنس الآخر بدأ بمغازلتها عكس ميوله الشاذ في قوله: "النقطة على وجه المرأة أروع ما في الكون والأرض"¹، يعاني عقدة الشعور بالذنب، ويبرر شذوذه بعد أن كشف نوعا من إباحيته وشذوذه لأخته برر ذلك للتخفيف من الذنب بالحتمية السياسية التي صادرت حرية التعبير، وحتى المقالات التي يكتبها عن عملية الإجهاض ويشجع فيه هذا العمل لا تنشر له، وحين تسأله سالمة عن عدم نشره لمواضيعه في مجلة وطنية يرد: " بريئة أنت، بريئة... الإجهاض حرمة الله وحرمة الدولة... دروشة... من يقبله؟ زمن يتجرأ على نشره"² متعلق بالفنان ماهلر الموسيقار العالمي الذي عانى هو الآخر شذوذا جنسيا مثليا، وقرأ عنه الكثير واستمع لمعزوفته الشهيرة، "معزوفة الألف" هذا الفنان لم يمارس الجنس المثلي فراح يقهر نفسه تحت سطوة العمل الجبار وقد قلد لطيف فنانه واستبدل عجزه الجنسي بكثرة العمل الشاق وشده الوهن، وهو نوع من التخفيف عن الذنب الذي أحس به.

يظهر التفكك النفسي لشخصية لطيف من الجانب الأخلاقي من خلال تفكك أسرته عقائديا. فالأم والأخ حميد تمسكا بالدين إلى حد التصوف والتطرف، والأخ الأكبر وسالمة والعمة فاطمة تطرفوا إلى حد الإلحاد، إذ أن الأخ الأكبر عاش معاقرا للخمرة إلى أن مات مخمورا، والأخت سالمة لا تراعي الوازع الأخلاقي، كما أنها تتبجح بالجانب الجنسي غير مكترثة بتقاليد المجتمع، وفي ذلك يظهر شذوذه، وغياب الأب الذي بات يعيش بعقل طفل، وأمام هذا النقيض وجد الأخ الأصغر نفسه بين شد وجذب مما أفقد التكيف النفسي، فاختر طريقا مخالفا بأن استباح الجنسية المثلية.

كما أن شذوذه هذا لم يتوقف عند حدود الإشباع الذاتي، بل تعداه إلى الانتقام من عملية الإنجاب على الرغم من غبطته التي أبقاها لسالمة في كثير من الأحيان وهو يقوم بعملية التوليد في عيادته- لكن

¹ رواية التفكك ص 207.

² المصدر السابق ص 210 .

ذلك يبقى، تهكما واستهزاء من العملية نفسها- ولأن هذه الشخصية هي "شخصية مهزوزة عاطفيا وفكريا، في مواقفها، ومستغلة في رغباتها الشاذة" شرعت تكتب مقالات تشجع فيها على عملية الإجهاض، وبذلك فإن الوازع التدميري الذي كان تشكو منه لم يحده الصراع الجنسي فقط، بل تعداه إلى الصراع السياسي، وأدرك أن الدولة لا تنشر مقالات بالصحف والمجلات الداخلية، فبدأ يتهمها بالدروشة، زيادة على صراع ديني معلن، ماثل في تهكمه بالقول: الإجهاض حرمة الله، وحرمة الدولة...دروشة...من يقبله؟ ومن يتجرأ على نشره.

واستنادا إلى كل ما تقدم، يمكن القول: إن الدارس لرواية التفكك يجد شخصية البطل مفككة بين الارتداد إلى الماضي والحنين إليه، وصراعات الحاضر والبحث عن الذات. ولقد ظهر الطاهر الغمري مفككا على ذاته تظهر عليه علامات الإحباط، والصراع النفسي وانعكس ذلك في مظاهر مختلفة، فهل يكون هذا التفكك الذي عاشه البطل ناتجا عن تفكك الطبقة الاجتماعية التي ظل يناضل في سبيل تحقيق الحياة السعيدة لها من خلال دفاعه المستميت عنها، وهو عضو في جمعية العلماء المسلمين وحتى وهو في مركزية الحزب الشيوعي؟ وهل ظهور البون الطبقي الشاسع بين طبقة أيدها وأرادها مستغلة لثرواتها تحت شعار " الأرض لمن يخدمها"¹ وطبقة مستغلة لا يهمها سوى تغفيل الشعب وتجويعه؟ أم كان هذا التفكك ناتجا عن تفكك أخلاقي استغله سماسرة الدين في قضاء مآربهم منطلقين من مبدأ تكفير الآخر وتجريمه كلما حاول محاربتهم من جهة، وانحلال الأخلاق وفسادها لدى الشباب؟ أم أن هذا التفكك جاء نتيجة أيديولوجية معينة أحس فيها بطل الرواية والشخصيات التي تأثر بها - من خلال أحداث الرواية- بالضياح بين من تشبثوا بدينهم وأصالتهم إلى حد التزمت. هذا التزمت الذي أفقدهم حقيقة الدين فجعلوه مركبا امتطوه للتدجيل والشعوذة والتضليل؟ وبين من واكبوا التيارات الحديثة كالشيوعية التي رأوا فيها الأم الحنون، والمنقذ إلى بر الأمان؟ وهو الذي وقع الطاهر الغمري، فنتج عن ذلك تفكك هوية فلا تمسك بدينه وتقاليد، ولا هو استطاع مواكبة التيارات الغربية عن نشأته فوقع له ما وقع للغراب الذي أراد تقليد مشي الحمام فنسي مشيته. إذ أنه انتقل من التطرف إلى التطرف، من التطرف الديني المتمثل في تعصب بعض أعضاء جمعية العلماء المسلمين، إلى التطرف الإلحادي المتمثل في الحزب الشيوعي.

¹ رواية التفكك، ص64.

وهل التفكك هنا تاريخي؟ وأين يمكن تصنيف تاريخ الأمة في خضم هذه الصراعات؟ وما محل الدين من كل ذلك؟ وهل يمكن الحكم على الكل من خلال الجزء في مسألة التعصب الديني؟ وهل الجنس المعتمد في رواية التفكك يصور حقيقة المجتمع وواقعه، أم أن البطل انتابته نوبات هستيرية أراد من ورائها تعويض ما عاشه من إحباط وصراعات.

إن التفكك في نظري اشتمل على هذه الجزئيات، ولا يمكن ترجيح جانب على الآخر، فتشخيص أزمة التفكك لا تكون إلا والعناصر كلها مجتمعة، على أساس أنه كل موحد، مصدره أولا وأخيرا النفس البشرية.

الفصل الثاني

الإسقاطات النفسية على بنيتي الزمان والمكان

إن الحديث عن الإسقاطات النفسية على النص الروائي يدفع بي قبل ذلك إلى التعرف على بنيتي الزمان والمكان قبل البدء في تحليل العقد النفسية، التي جسدتها شخصيات الرواية لأن الزمن والمكان يلعبان دوراً مهماً في الأعمال القصصية وبخاصة في الرواية، فإذا كانت هذه الأخيرة نقلاً لأحداث وتصوير لحالات ووضعيات تتعلق بشخصيات مختلفة، فإنه لا يعقل تصور هذه الأحداث والحالات، إلا ضمن إطارين متلازمين أحدهما مكاني والآخر زمني¹ ومنه يجب علينا معرفة كل من الزمن والمكان حتى نتمكن من الإسقاطات النفسية على شخصيات الرواية:

1_ الزمن: لا يمكن استخراج العقد النفسية من إسقاطات التحليل النفسي ما لم ندرك زمن الأحداث، إن لم يرد ذكر الزمن لفظاً فإننا نشعر بحدوده التي تسير في فلكها الأحداث، وإن الحديث لا يقع إلا بفعل الشخصية، التي تستغرق زمناً يطول أو يقصر في إنجازها، وإن الحديث عن الزمن يتضمن بدوره الحديث عن السرد ومساره، والمكان ووظيفته.

واستناداً على ما سبق بات علينا معرفة زمن أحداث رواية التفكك وتقسيمها إلى:

أولاً: زمن القصة: انقسم زمن الأحداث إلى الزمن الماضي، والمتمثل في زمن الاستعمار، في النصف الأول من القرن العشرين، ثم النصف الثاني من هذا القرن، أي فترة ثورة التحرير الجزائرية، ابتداء من 1954 الذي واكب مجموعة من الحركات التحررية التي شهدها العالم، والصراعات الإيديولوجية. والزمن الحاضر - زمن الاستقلال - زمن البناء والتشييد، زمن تطبيق المبادئ التي ثار من أجلها الشعب الجزائري، والتي كانت ضريبة جد باهضة مليون ونصف مليون شهيد.

ثانياً: زمن النص: وهو الزمن الذي يتجسد أولاً من خلال الكتابة التي يقوم بها الكاتب في لحظة زمنية مختلفة عن زمن القصة أو الخطاب، والتي من خلالها يتجسد الزمان: إنه (زمن الكتابة)، وهو ثانياً زمن تلقي النص من لدن القارئ² أما زمن كتابة رواية التفكك فكان في أواخر السبعينات (زمن الاستقلال). وأما القراءة فيقصد به "العصر الذي ينتمي إليه قارئ الأثر، وليس الفترة التي تستغرقها هذه القراءة ذلك أن كل

¹ إبراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية) ط1، دار الأفاق-الجزائر 1999 ص20.

² سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي-ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب-2001، ص19.

عصر يتميز عن سابقه -وعن لاحقه كذلك- بجملة من المعطيات على الصعيد السياسي، والاجتماعي، والفكري، تتأزر كلها للتأثير على التطورات العامة والمذاهب السائدة، والآراء والأفكار، وبالتالي صياغة مجمل الرؤى والاتجاهات المسيطرة¹ وإذا كان زمن الكتابة وزمن القراءة يجمعها زمن واحد أو يقتربان، فإن القراءات التي تناولت النص الروائي، شهدت عملية ائتلاف في زوايا وتشابهت في الرؤى، واختلفت في كثير منها وافترقت، وذلك حسب رصيد كل قارئ، وحسب ميوله لأحد المناهج السائدة.

ونحن نعيش القرن الواحد والعشرين، نجد الساحة الأدبية قد أفرزت معطيات جديدة، تتعلق بفشل التوجيه الإيديولوجي والفكري المحرك لأحداث النص الروائي وجعل القارئ ينظر من منظار الروائي المبدع للنص، حتى كأنه يفرض وصاية على نتاجه الادبي، وبوجدة من خلال تصويره لأحداث متن "التفكك" أراد تصوير جانبا من سيرته الذاتية، مسقطا ما عاناه على شخصية البطل "لكن بصورة أكثر إخفاء لفضاء السيرة الذاتية"² وهو الشيء الذي جعل حلول انفتاح النص على كل القراءات، وفقا لتعدد المناهج محلا لتأويلات كثيرة، ومنه اخترنا دراسة رواية التفكك في ضوء التحليل النفسي واكتشاف العقدة النفسية الكامنة في النص.

وانطلاقا من هذا الاعتقاد وجب الاقتراب من حياة المبدع ولو بالشيء اليسير والقصد من وراء ذلك،دراسة النص من الوجهة التحلي نفسية أكثر الاعتماد على دراسة شخصية المؤلف، أو الطقوس الإبداعية، التي أثرت في الإنتاج الإبداعي أو سيكولوجية

المتلقى التي نادى بها رونية ويليك. الذي حصر الدراسة النفسية في: " الدراسة النفسية للكاتب بوصفة نموذجا وفردا أو دراسة عملية الإبداع، أو دراسة النماذج والقوانين النفسية التي توجد في الأعمال الأدبية، أو دراسة آثار الأدب على قراءة"³ فالناقد "رونيه ويليك" جعل الدراسة في حقل المنهج النفسي، في هذه المجالات الأربعة ، اخترنا منها لموضوعنا ما وجدناه مناسبا، والمتمثل في المجال الثاني دراسة النص الأدبي أشرنا من حين إلى آخر وبطريقة غير مباشرة إلى المجال الأول. ذلك ما جعلنا نبدأ بتحليل الرواية قصد الوقوف على الصراعات التي حدثت في الرواية والتي مهما كان نوعها، فهي أولا وأخرا نابعة عن شخوص تعيش بين ضغط الدوافع الغريزية، وضغط المجتمع.

¹ إبراهيم صحراوي: المصدر السابق ص 213.

² أحمد حيدوش: مجلة الكاتب الجزائري، المصدر السابق،ص218.

³ رونيه ويليك،نظرية الأدب،ص83 .

تحليل متن "التفكك":

أرد الروائي لبطل رواية "التفكك" أن يصور صراعا نفسيا عايشه الطاهر الغمري من خلال الماضي- الحاضر، "حين لجأ إلى عنصر التكثيف النفسي والشحذ المعنوي لشخصه الموكل إليها تنفيذ القرار، قرار الحدث"¹ وشخصية البطل خاصة والبحث من خلاله عن الذات والمجسد في هذه الشخصية في حالات من الإحباط والصراع، وحالات الضغوط، والتعويض، أفرزت كل هذه في نهاية المطاف مجموعة من الرغابات والدوافع النفسية، مست جوانب الحياة، وأرخت عبر الارتداد المتكرر لحقبة تاريخية عاشها البطل متخذاً جملة من التبريرات نحو نحو الدين والسياسة والجنس، وبالتالي تأتي الرواية على تسجيل التاريخ تاريخ ما روي وتاريخ ما لم يرو وهو - فيما يبدو- جزء أساس مما أراد الروائي أن يكشف عنه النقاب². وكأن الروائي يريد الكشف عن جانب من سيرته، تبدأ الرواية بلسان قلم الروائي، متحدثاً عم الطاهر الغمري: "لم يكن ليحمل بطاقة تعريف ولا شيء آخر يعرف إلى هويته، فكان يشعر بنوع من الخفة تصعد من جيوبه الخاوية. متناسيا تلك الصورة الشمسية التي كانت في جيبه لا يحسب لها بالاً ولا حساباً"³. لقد تكرر هذا المقطع في مواضع متعددة من الرواية، وهو التكرار الذي يطرح افتراضات عديدة منها:

أن الأشخاص مجهولي الهوية أو المتسامين عن هويتهم يعبرون عن إحباط اجتماعي وأخلاقي ونفسي، وقد يعني ذلك في الوقت نفسه تهرب المتخلي عن هويته من المسؤولية. أن هذا الشخص المتسامي عن هويته يحمل رمزا مخفيا، وكثيرا ما يكون الرمز العظيم مجهول الهوية⁴، والبطل في هذه الرواية رمز للتاريخ المغيب، فهو الفلاح الفقير المنخرط في جمعية العلماء المسلمين، الراض لنهج قيادته والمدافع على الفقراء الكادحين والذي اتهم في نهاية المطاف من قبل مسؤولية بالكفر والإلحاد، وهو الشيء الذي مكنه من التحرر من هؤلاء لينحاز إلى الحزب الشيوعي كل ذلك وقع أيام الاستعمار. وهي صراعات جعلته يتحرر من هويته بعد الاستقلال، وظل يبحث عن مثير يدفع به إلى التنفيس عن مكبوتاته، والسعي إلى التعويض الذي يجلب له اللذة ويحرره من ضغوط إخفاء هويته،

¹ د. بشير بويجرة: بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970-1986) "جماليات وإشكالية الإبداع" ج2، دار الغرب للنشر .

² نظر: شايف عكاشة، مدخل إلى عالم الرواية الجزائرية، قراءة مفتاحية-منهج تطبيقي-ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1990 ص 30،31 .

³ رواية التفكك ص 5.

⁴ محمد حسن غانم: التحليل النفسي للأدب، دراسة نفسية في ملحمة الحرافيش لنجيب محفوظ، مركز الحضارة العربية-مصر، ط1 ص23.

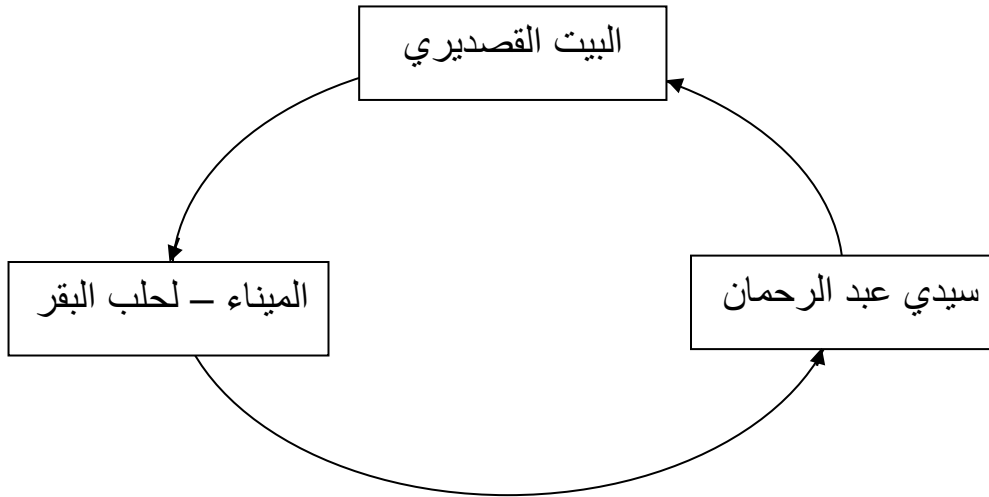
وهروبه من ماضيه بسبب له إحباطاً، في تلبية حاجاته الجسدية والاجتماعية والشخصية.

أن الرواية أفرزت قضية البيئة والوراثة¹، بأفضل صورها، وأعتقد أشكالها. فعلى الرغم من أن البيئة واحدة إلا أنها أفرزت اتجاهين متناقضين متصارعين ينظر كل اتجاه للآخر على أنه رجعي مثبط للثورة تمثل ذلك في التيار الإصلاحى والتيار الشيوعى، وهو ما يؤكد على تشبع وراثى ثقافى لكل مذهب.

استطاعت شخصيات "التفكك" الإشارة إلى حالات الضغوط والصراع والتي سببت انفصاما في الشخصية عاناها البطل طويلا، ومن خلال معرفته بسالمة المتحررة النشيطة المتمردة، تصالح مع ذاته والتأم معها، فمكنه ذلك من تفرغ ما كبته طول حياته.

أما عن أحداث الرواية فقد بدأت بشخص مجهول الهوية وجد نفسه في بيئة غير البيئة التي نشأ وترعرع فيها وغير الزمان الذي عاشه، وجد نفسه في مدينة كثر سكانها تعالت الفوضى والضجيج فيها والناس بين ذهاب وإياب، وهو تارة يراقب الحمامات أو الطيور المتكرشة¹ كما يحلو له تسميتها، مكررا تساؤله عن سبب وجودها في المدينة، وتارة أخرى ينشغل بحركة المارة فيسترعى انتباهه بعض هؤلاء " الواقفين وقوف من رسخت أقدامهم في إسفلت الحافة ظلوا ماكثين رابضين مكانهم يربطهم فيه حبل هيولى"² وقد استنفر منهم بنظراته فراحوا يسمعون سبا وشتما على اختلاف أنواعه، وقد رسم لنفسه طريقا ثلاثيا تبدأ حدوده من الكوخ القصديري، مرورا بالميناء لحلب البقرات ومراقبة حركة الميناء، الذهاب إلى ولي الضريح سيدي عبد الرحمان لمراقبة العذاري وانتهاء بالعودة إلى البيت القصديري مرة أخرى.

(حسب الشكل 1)



¹ المصدر السابق.

ويبقى في عزلته هذه منشغلا أحيانا ببنيته الحبق والشمعة المغروسة في تربة الحبق المسروقة من زاوية سيدي عبد الرحمان، متأملا في جملة التي نقشها على الطاولة "ليضمني ظلهم"، وأحيانا أخرى يستسلم إلى هواجسه وهمومه حين يتذكر الصورة التي يحملها في جيبه، فينتابه الخوف في مرات عديدة ويهم بحرقها، خوفا مما تسببه له من آلام وأحزان لأن الخوف إذا استبد بالإنسان أفقده الكثير من مقومات الرجولة وأحدث خلا خطيرا في حياته الشخصية والاجتماعية¹، إلا أنه لا يستطيع حرقها، لأنها كانت تمثل بطاقة هوية تعرفه.

وتتدخل شخصية أخرى في حياة البطل، دخلت سالمة عالم الطاهر وتكررت زيارتها له وزادها الفضول إلى الاقتراب منه وتساءلت عن عزلته، عن حياته، عن سلوكه وعن أشياء تهمة، وتهم من عاشرهم، بل تصل إلى استدراجه لإسقاط بعض مما يحمله من ماضيه، وتحاول جاهدة جعله يفرغ ذلك على حاضره، فيكشف لها وللقارئ جزء كبير من عالمه، وتظفر هي بسبق لم يحظ به غيرها فتؤرخ لثورة من خلال إسقاط البطل زحما نفسيا أثقل كاهله، وفي ذلك يقول الناقد فلاديمير كرينسكي: "إن التاريخ والحقيقة ينبثقان من فم السارد"، واختلط صوته بأصوات شخصيات الرواية الأصحاب وزعماء الأحزاب، وسالمة وعائلتها، وتماهى بعضهم في بعض، فنتج عن ذلك مجموعة أصوات متداخلة يصعب فرزها أحيانا، من خلال ارتداد البطل المتكررة وهي كلها محطات تاريخية لها دلالاتها لا يدرك حقيقتها إلى الطاهر.

انعكست هذه المحطات على مستويات عديدة سياسية، ودينية، وأخلاقية واجتماعية، ونفسية. لم تجد من يكشف حقيقتها ويظهرها في ظل لجوء البطل إلى العزلة وابتعاده عن الاحتكاك بالمجتمع إلا شخصية سالمة. وهذا ما سوف أتعرض إليه بشيء من التفصيل. في دراسة كل من الصراع السياسي، والصراع الجنسي، والصراع الديني.

البطل والصراع السياسي:

لقد صورت الرواية صور الصراع السياسي بين زعماء الجمعية، وزعماء الحزب انعكست مآسيه على صورة الطاهر الغمري صورة الماضي الحاضر/ المستقبل، الذي كان فيه "أوفر حظا في التداول"¹

1 د. مصطفى غالب: في سبيل موسوعة نفسية- دار مكتبة الهلال- بيروت 1982، ص 10.

2 د. بشير بوجيرة: بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري المصدر السابق ص 84.

مما أصبح مدعاة للتطرف السياسي كونه يعد الشاهد الحقيقي للحقبة الزمنية المتعاقبة للمجتمع الجزائري، إذ إن هذه الشخصية لا زالت تحمل مقتل الزوجة وبناتها من قبل العدو، ومقتل الأصدقاء الأربعة غدرا، واحتكار جماعة من زعماء الجمعية، الدين لأغراض سياسية، وتجويع الشعب وتفقيره، ويرى البطل أن هذه النفسية" هي نفسية الطبقة الإقطاعية التي عاشت الثورة الجزائرية دون أن تندمج فيها اندماجا كلياً"¹، وهو صراع حاد أرق البطل وخاصة حين يتبادر على ذهنه أسئلة سالمة المتكررة من بينها: "لماذا لم يأخذ الحزب زمام الأمور سنة 1954؟ كنتم الطليعة وتركتكم المبادرة لغيركم لماذا؟"² ويشد الصراع لدى البطل حين يعزل فتراده الهواجس، والأسئلة التي لم يجد لها حلا فيتساءل عن سبب مقتل الأبرياء العزل، ومن المستفيد من قتل الأصدقاء غدرا؟ ولعل هذا الصراع هو في الأصل صراع الروائي الذي عان الأمرين مع المخابرات العسكرية"³ بين سنوات (1965 و 1978) حين تعرض إلى التكيل بسبب موافقة من طرف السلطة حتى كاد يفقد صوابه، وبلغ به التعذيب إلى أن أدخل مستشفى أمراض الأعصاب جراء ذلك⁴، ولعل هذه الثنائية الروائي/ البطل الضاربة بصورة متكررة في متن " التفكك" تجد تفسيراً لها إذا ما اعتبر أنها" تروي أحداثاً حقيقية مخزونة في ذاكرة الكاتب وفي لاوعيه، ولونها خيالها خياله الطفولي وخياله ككاتب، ومن ثم، فإنه بقدر ما يبدو وكأنه يروي قصة فهو في الوقت نفسه، يروي قصة تتامي الوعي الثوري"⁵ لأن صراع " حدث في الرواية مهما كان نوعه وأثره في سبر الأحداث، إنما كان بين هذه النفسية -الروائي/البطل-

وبين المجتمع الروائي في المرأة والسلطة والثقافة"⁶ وبذلك نجد أن بطل التفكك كشف موعاً من المعاناة السياسية لرشيد بوجدر، والتي استمدت حيثياتها وأحداثها المأساوية ما بين سنوات 45، 54، 65، 78 وهي كلها تواريخ تحمل دلالات سياسية واجتماعية ونفسية عند البطل.

-
- 1 عبد المالك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة - المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر - ط 1990 ص 81 .
 - 2 رواية التفكك ص 93.
 - 3 أنظر رواية الانكار لرشيد بوجدر- من ص 251 إلى 271.
 - 4 أنظر: عابدة بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري ص 203.
 - 5 أحمد حيدوش: مجلة الكاتب الجزائري، المصدر السابق، ص 225.
 - 6 عبد المالك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة- المصدر السابق ص 81 .

و"كان الروائي هنا ترك حرية التصرف لشخصية تعبر عن سخطها"¹ فبحث عن التغيير مروراً بأحداث الثامن ماي والتي تزامنت بمقتل زوجة البطل وبناته إلى عام الزلزال 54² واندلاع الثورة إلى الاستقلال 62 وحسره على التفريط في قيادة الحزب والتخلي عن الزعامة، ثم 65 التصحيح الثوري/الانقلاب على تعاليم الشيوعية -من وجهة نظره- وعلى مقومات الحزب الشيوعي خاصة ووصولاً إلى معانات السياسية من 65 إلى 78 مع أجهزة الأمن العسكرية.

لقد سعى البطل إلى هذا التغيير، ليستفيق على تفكك، انعكس عليه سلباً، وأحس بإحباط جعله يؤثر في العزلة في بيته القصديري وإن حدث وخرج فإن فضاء تنقله لا يتعدى الميناء وضريح الولي سيدي عبد الرحمان والعودة مرة أخرى إلى البيت. ويرجع علماء النفس هذا الانطواء وهذه العزلة لعدم إيجاد السبل التي تخرجه من هذه الصعوبات والتوتر الشديد بين الأنا والأنا الأعلى الذي يدينه³ جند نفسه للدفاع عن الوطن أيام الثورة، واندفع وراء أفكار أراد لها التجسيد وها هو يستفيق بعد الاستقلال على واقع ذي حمولة تاريخية تتعارض وأفكار ما زاد في تفككه ويشد عليه وقع سؤال سالمة كلما ارتد إلى الماضي " كنتم الطليعة وتركتم المبادرة لغيركم، لماذا؟"⁴ وقد اتخذت هذه الحمولة من خلال أحداث الرواية مما يشعر بنوع من الانفصام اللاواعي في سياقها التسلسلي للأحداث، فهو يلاحظ وجود حاجز...منيع حاجز...منيع بين الواقع الذي يصور التفكك وبين الواقع الذي أراد الأديب أن يصوره...⁵ فالواقع الذي أراده البطل أثناء الثورة لم يجسد أيام الاستقلال.

أصيب البطل بإحباط لما رأى أن الأهداف السياسية والاجتماعية التي ناضل من أجلها قد تبخرت، فحين يرتد بذاكرته إلى الماضي يجد الألماني محلاً "لأفكار السياسية بطريقة مباشرة كتفسير للصراع الطبقي، وشرحه لاستنتاجات الحرب العالمية الثانية، ويدسها بشكل غير مباشر...⁶، ويحاول غرسها لا في نفوس الطبقة المثقفة الفاعلة فحسب، بل حتى في عامة الناس من بطالين وموقوفين ومنفيين وكادحين، أيام أن كانت الأمة تعيش نير الاستعمار محرومة من أبسط حقوقها، وهو يؤمن أن "الزمن هو

¹ مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية- (دار القصبية للنشر - الجزائر - ط 1999) ص 7 .

² رواية التفكك ص 135 .

³ جان لابلاش و.ج.ب بونتاليس "معجم مصطلحات التحليل النفسي"، ترجمة د/مصطفى حجاري، د.م.ج الجزائر ص 22 .

⁴ رواية التفكك ص 93 .

⁵ شايف عكاشة: مدخل إلى عالم الرواية الجزائرية.د.م.ج الجزائر ص 27 .

⁶ رواية التفكك ص 162 .

الذي يصنعهم، ولا وعي لهم بكل ذلك"¹ ويقارن حال المجتمع بعد الاستقلال لما رآه من قلة وعي صفوف الشعب الذي غلب على أمره ومارست السلطة عليه تعسفا اجتماعيا" ولأن شعوبنا طالما ترقبت زمنا تاريخيا هاما تسترجع فيه أعلامها ووزراءها وساستها...الفقير يصوت بفخر واعتزاز يوم الانتخابات اعتقادا منه أن له دورا يلعبه ولو مرة في عزة... ولا يتركه يفلت من يده وهو يعلم علم اليقين أن الانتخابات في وطنه لا تتجاوز الشكليات وهي مجرد تمظهر بالديمقراطية"² ويخرج باستنتاج من عقده لهذه المقارنة يزيد من تفككه فاقد لهويته.

وحين يعرج بذاكرة الماضي على العامل الاقتصادي الذي يعيشه المجتمع ويرتد إلى الأهداف المسطرة أيام شبابه ينعكس عليه الانطباع نفسه، فيزيد ذلك في تعميق مأساته، وما ترداده للجملة التي نقشها على طاولة بيته القصديري "كسرة خمير ولبن خثير"³ إلا دليل على تفكك اقتصادي ضارب في أعماق الأمة، وهو ما سبب له صراعا آخر حين انعكست التوجهات السياسية على المجتمع سلبا وعلى أفرادهم وهم "يتحدثون عن نقص المواد الغذائية في الأسواق العامة"⁴ وهو يتساءل عن سبب تواجد هذه الحمامات المتكرشة - كما أسماها - يهم من حين إلى آخر بصيدها وأكل لحمها، بل ويقول "لماذا لا يحاولون صيدها وأخذها إلى منازلهم، فيطهونها ويفيدون بها أولادهم وهو يعلم أن القدرة الشرائية قد تدهورت في الأعوام الأخيرة..."⁵ وذلك ما جعل أعداء الأمس يفتحون حدود بلادهم للجزائريين ويرى في ذلك جريمة في حق الشعب ثم يدرك أن "الجريمة لا تساوي شيئا في عرف الرجل السياسي، بل هي ضرورة من ضرورات المهنة، ومطلب رئيس من مطالب النجاح فيها، ثم إن البعد الأخلاقي غير وارد فيها على الإطلاق"⁶ ويقرر حينئذ بعض الفلاحين ترك أراضيهم وإهمالها ويهاجرون إلى أوروبا " فيتجولون في شوارعها حاملين على أكتافهم زرابي وحنابل وجلود الأكباش المصوفة وهم لا يتكلمون لغة البلاد...بييعون الزرابي التي نسجتها نساؤهم اللواتي لم يتركن القرية وهن يعلمن صابرات مترقبات رسائل شحيحة وأوراقا نقدية قليلة، لا

¹ عبد الصمد زايد:- مفهوم الزمن ودلالاته في الرواية العربية المعاصرة- الدارة العربية للكتاب -تونس 1988 ص 42.

² رواية التفكك ص 232 .

³ المصدر نفسه ص 17.

⁴ المصدر السابق ص 17 .

⁵ المصدر نفسه ص 25.

⁶ مصطفى فاسي:-دراسات في الرواية الجزائرية- المصدر السابق ص 127 .

تكفي هي الأخرى لترميم الدار المهدامة، ولا لشراء لقمة العيش¹ وهو ما زاد في حسرته وعمق تفككه، لأن ارتداده إلى الوراثة بالضبط إلى النهج السياسي الاقتصادي المرسوم يجده مفككا بين التنظير والتطبيق، فيبحث "تحت الرغبة اللاشعورية في التملص"² عن ملاذ ينأى إليه فلا يجد إلى بيت العزلة مسكنة القصديري ويستأنس بشرب كأس من الشاي بعد أن استعمل غلايته القديمة في تحضيره، ويعاوده صراع حاد حين يقرأ ما كتب على الكأس "صنع بإسبانيا" وهو يعقد مقارنة بين شباب الماضي الموجه توجيهها حسنا في استرجاع السيادة الوطنية للشعب، أيام كان (بوعلي طالب) وأمثاله يصنعون القنابل للحد من التعبئة، بين شباب الحاضر الذي تفكك على ذاته فمنهم البائع لهويته، ببيعه لجوازات السفر، زمنهم من اشتغل بتهريب العملة الصعبة والسلع والبضاعة³ والبعض الآخر تشكل في عصابات سوء مكونة من الشباب البطال والمتسرب من المدارس. هذا الشباب الذي رضي بأن يضع بطنه وعقله بين يدي عدو الأمس بدلا من أن يشمر على ساعديه ويسعى إلى توفير لو الشيء اليسير من الاكتفاء الذاتي، ثم يدرك بوعي متنام أن سبب ذلك، يرجع إلى غياب مخطط سياسي اقتصادي من طرف المتحكمين في دواليب الحكم.

أراد الروائي أن يعيش القارئ الواقع المتفكك ويعيش الماضي/الحاضر لأن في "الرواية الحديثة ويوزع المؤلف الأنا عنده على الأنا عند أبطاله ويخلع عليهم اندفاعاته النفسية"⁴ كما أن الأنا الإشكالي في مثل هذه الحالة يختفي "في الغيرية التي يدينها وفي الرقابة وفي الأفكار حيث يقدم اعترافات ذاتية في زمنية وحوارية محرمة من كل تعبير"⁵ والبطل هنا يريد الاعتراف بهذا الماضي الذي دفعت أهدافه الشعب بمختلف أطيافه إلى الدفاع عن مبادئ الحرية والمساواة والتي اقتربت - من خلال توجيه الروائي للأحداث- إيديولوجيته إلى محاكاة الواقعية الروسية والواقعية الاشتراكية، حين حمل شخصيات روايته، وخاصة شخصية البطل أفكاره، "شخصيات الرواية تسلك بناء على إيمانها. وتحقق رؤيتها للوجود وللحياة وللواقع الاجتماعي في تصرفاتها ونشاطها اليومي، وهي عناصر طليعة تدفعها مبادئها للعمل وفق رؤية معينة للحياة، فتحقق ذاتها من خلال الممارسة الفعلية لمتطلبات هذه الرؤية"⁶ وتحقق للشعب بعد هذه

1 رواية التفكك ص 238 .

2 د. بشير بوجيرة: بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، المصدر السابق ص 132 .

3 انظر: رواية التفكك ص 116 .

4 عبد الله بن حلي: الفكر الفرويدي وأثره في النقد العربي - المصدر السابق ص 69 .

5 أحمد حيدوش: مجلة الكاتب الجزائري، المصدر السابق، ص 216 .

6 عبد الحميد بورايو: منطق السرد -دراسات في القصة الجزائرية الحديثة- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 97 .

الممارسة الفعلية لاستقلال بعد أن دفع ضريبة لا تقدر بثمن. والمستقبل الذي لم يكن عند ظن التطلعات المرجوة، وبالتالي فإن عمله هذا قد صور تمازجا بين حلمه المطلق كون "أحلام اليقظة هي تعبير عن حادثة مكبوتة في لاشعور الأديب من عهد الطفولة"¹ وموضوعية حركة الواقع لأن "العمل الفني رسالة موجهة من الأنا إلى الآخر لاستعادة نحن باعتبار الانعكاس الشعوري للتكامل الاجتماعي"² فالإنسان عبارة عن كم من العلاقات الاجتماعية، ومن خلالها تتكون شخصية ببعدها الجوهري من الطبقة التي انحدر منها، عاكسا مجموعة المبادئ والقيم التي شب عليها.

واستطاع بوجدة بذلك رسم لوحات فنية وهو يعرف المتلقى بالصراع الذي عاناه البطل بل وأظهر قدرة عالية في استنباط أدواره وأدوار شخصيات الرواية بالإضافة إلى طريقة الربط الجدلي بين الذات والموضوع من جهة، والفرد والمجموعة من جهة ثانية حين استطاع أن يعكس صراع العالم الخارجي على ذات البطل.

وهو ما عاناه البطل خلال ارتداده إلى مرحلة شبابه، وإلى الهدف الذي دفعه وأصدقاءه إلى حمل السلاح، حين منى النفس وإياهم بالعيش أسيدا على أرض وطنهم العزيز يأكلون بملاعق من ذهب، وينتقلون على بساط الريح، ولا يجد الفلاح الفقير الذي عانى ويلات الاستعمار مشاقا في كسب قوته، وها هو يزداد صراعه الداخلي حين يجد الكادحين " لا يفقهون في سياسة شيئا وإن فهموا فعن حدس مستتر في تلافيف أجسامهم الهزيلة قهيمون على وجوههم سكارى في فجاج الأرض يسبحون في الأجواء بقوة خيالهم"³، هذه القوة الفكرية والجسمية وحتى الخيالية التي عطلت وأبطل تجسيدها على أرض الواقع تحول أصحابها إلى مهاجرين "يعمل هؤلاء في المصانع الضخمة المركبات الجهنمية...تحت عامل الحر المجفف اللاذع، فيحول المناخير إلى جرح يائس مؤلم والجهنمية مصاهرها لا تشبع فحما...وبآليتها المشبعة التي تجبرهم على التسابق والجري واللهط والانتقال من آلة إلى أخرى بسرعة البرق"⁴، من هذا فإن البطل عاش ضغطا كبيرا في تحقيق دوافع الأنا والعالم الخارجي الذي هدف من خلاله إلى "تغيير المحيط ورفض الاستسلام حتى يتمكن من تحقيق ذاته"⁵ لكن ذلك لم يحدث بفضل العزلة وهو سلوك

¹ راجع المصدر السابق.

² مصطفى سوييف: "الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي" دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع ط2، ص 8 .

³ رواية التفكك ص 233 .

⁴ المصدر نفسه ص 137 .

⁵ باسا غانا: مبادئ في علم النفس الاجتماعي، نقله إلى العربية أبو عبد الله غلام الله-ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر ص 142 .

يطلق عليه أصحاب التحليل النفسي التكيف السلبي مع المحيط وهي نزعة انسحابية دلت على عقدة نقص كامنة عند البطل، يعود تاريخها إلى طفولته، والمتمثلة خاصة في فقره، ووحدته. هذا الصراع جعله يهرب من كل ما يذكره بماضيه، لأن في ذلك نوعاً من التحرر النفسي، نوعاً من نسيان الضمير الذي لاحقه في حله وترحاله، بين الميناء والولي الصالح والبيت القصديري، حين فضل النوم كسلوك تعويضي للتخفيف من حدة الصراع الذي يعاينه، وظن أن العزلة هي التي سوف تنهي صراعه متجاهلاً المقاومة التي يقول عنها كافكا "أعرف أن الخلاص لن يأتي لكنني سأكون في كل لحظة جديراً به"¹ كون المقاومة هي السبيل المنجي من الاستسلام إلى الصراع والعزلة واليأس.

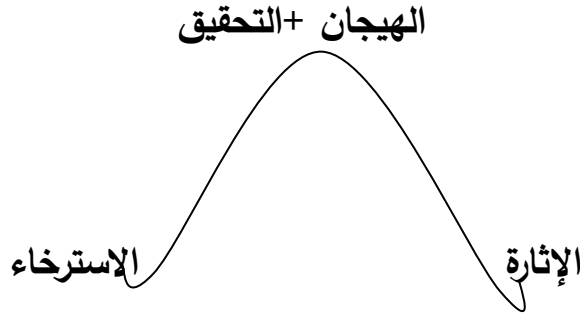
لعل الروائي أراد الهروب من الواقع الذي عاشه أيام أن فرضته عليه رقابة من قبل المخابرات العسكرية وتعرض للتعذيب فأراد أن يعكس جزءاً من معاناته على شخصيات التفكك وعلى البطل خاصة لأن "الفن يساعد على إبعاد النزاعات الواقعية من حياة الإنسان، وعلى المحافظة على التوازن النفسي"² فلم يجد وسيلة للتخفيف من اندفاعاته إلا الفن فعبّر بطريقة ذكية عما عاناه من خلال إسقاط ذكرياته على شخصية الطاهر الغمري، وهو ما يدل على الفرق بين الفنان والعصابي كون "الفنان يتحكم في خياله، فهو يحلم وهو يقضان، بينما العكس عند العصابي في كون خياله يتسلط عليه"³ بالإضافة إلى أن الفنان يعود من خياله إلى العالم الحقيقي دون مشاق بينما لا يستطيع العصابي الرجوع من عالم خياله وهو ما أكد عليه تريلانج⁴ على أن الفنان قادر على التخلص من عالم الخيال والهواجس وحسن استخدام عصابه.

البطل والصراع الجنسي:

كما يرجع الصراع النفسي إلى العامل الجنسي الذي انتاب البطل لدى عزوفه عن الزواج بعد فقدانه زوجته وتردده على ضريح سيدي عبد الرحمان، ومراقبته النساء الحسنات اللواتي جئن للتبرك، حينما يشعر بإثارة نفس جسدية عند رؤيتهن إلى درجة أن هذه الإثارة تسبب له قلقاً جنسياً كبيراً يدفعه إلى تفرغ جزء من الطاقة

-
- 1 عبد الرزاق: "دراسات نقدية في الرواية" - دارالأدب والمعارف - ص 20 .
 - 2 فاليري لبين: "مذهب التحليل النفسي وفلسفة فرويد الجديد" ص 120 .
 - 3 د. عز الدين إسماعيل التفسير النفسي للأدب - المصدر السابق، ص 31 .
 - 4 راجع الفصل الأول من هذا البحث.

الليبيدية الكامنة لديه، إذ يرجع علماء النفس وعلى رأسهم فرويد هدف الغريزة الجنسية إلى أنها تنزع دائما إلى التحقيق والإشباع، فهي تنتقل من مرحلة الإثارة ثم الهيجان وتحقيق الرغبة لتعود إلى مرحلة الإشباع والاسترخاء مشكلة المنحنى الآتي:



(الشكل 2)

وأمام هذه الظاهرة النفسية وعزوف البطل عن الزواج الذي جاء نتيجة وفائه لزوجته والعيش على ذكراها ظل البطل يعاني التثبيت وفيها استمرت التجارب التي عاشها في لاشعوره بشكل لا تحول فيه، ويؤكد التحليل النفسي على أن كل إنسان بشكل عام يظل متأثرا ببعض الخبرات التي يلتقي بها في الطفولة، فتسيطر هذه الخبرات على سلوكه وتكرر معه، ويدل ذلك على أنها خبرات مثبتة. ولم يجد سبيلا في التحرر من إفراغ بعض طاقته عبر الطريقة المباشرة (الجماع) إلا طريقا ملتويا تمثل في "العادة السرية" كونه أحس بنوع من القصور النفسي.

وهنا يجد البطل نفسه، تحت رغبة ملحة للإشباع الجنسي، وضغط الوفاء للزوجة وعدم ربطه علاقة مع امرأة. أمام هذا الوفاء والرغبة اللاشعورية الملحة حول البطل اهتمامه إلى إشباع غرائزه، بالجوء إلى خياله، فانعكس ذلك في شذوذه وبهذا الشذوذ يكون قد خفف من عبء الطاقة الليبيدية الكامنة.

إن هذه العقبات الواقعية التي حالت دون الإشباع الجنسي عبر القنوات السوية، تعود حسب رأي فرويد إلى "أن الحرمان من هذا الإشباع يشد إلى السطح نزعات منحرفة عند الناس الذين لولا ذلك لما ظهرت عندهم، فلا بد من أن نخلص إلى أن ثمة شيئا في الناس على استعداد لاحتضان الانحرافات (...)" وأن هذه النزاعات لا بد وأنها موجودة عندهم في صورة كامنة¹ لذا فإن هذا السلوك الشاذ

¹ د.صلاح مخيمر: عيدة مخائيل رزق، نظرية التحليل النفسي في العصاب ص 570 .

الذي ظهر على البطل لم يكن إلا بعد أن أحس باضطراب عنيف وتوتر شديد أحس فيه بالضياح في تلبية حاجته البيولوجية ومعاناته من ظاهرة التثبيث من جهة وشعوره بالنقص من جهة أخرى، هذا الشعور بالنقص أحس به وهو يقارن بين نساء الأوس اللواتي عشن الثورة وبيئتهن والتي انحدر منها هو الفلاح الفقير ونساء الحاضر، لأن البيئة التي يعيشها غير تلك التي عاشها في الثورة و"إن البيئة لا تخلق في الشخصية شيئاً جديداً، ولكنها تنمي ما هو موجود فعلاً"¹ فهو حين يتحدث عنه سالمة في الجنس تقول: "يخجل هو عندما أصارحه الكلام عن مشاكل الجنس لكن حب الاطلاع يرهقه"² ويعلم أنها تحمل في حقيبتها أقرص منع الحمل وهي لم تربط علاقة مع أي رجل بل تحتقرهم وتمقتهم، وتناضل لمنع الزواج وإنجاب الأولاد، وفي الوقت نفسه نجدتها تعشق رجلاً ميتاً (سيد أحمد).

أجل إنها تعشق رجلاً ميتاً "وتفتن برفقة شعره ولون عينيه، وتحتضن بين جوانبها أباها الأكبر"³ وتلج في طرح الأسئلة على رفيق دربه الطاهر لمعرفة أكثر "هل كان متزوجاً، هل كان له أولاد؟ هل كلن له عشيقه؟ هل كان له قلب وأحشاء وعاطفة وحس دقيق... أم لا؟"⁴ ويزيد هذا التناقض من صراعه تناقض سالمة في كرهها الرجال وحبها أحدهم ميت، ولعله التناقض عينه الذي تحدث عنه رضا حوجو في كتابه "حمار الحكيم" وهو يتحدث عن زواج المثقفين الجزائريين بالأجنبيات أن "المرأة أنانية تشعر بضعف غريزي طبيعي فيها، فهي من الناحية النفسية تتراح إلى الرجل القوي وتستكين إليه، وتريده ضعيف وتبغض ضعفه. ولم يتوقف صراع البطل من تناقض سالمة عند هذا الحد، بل ازداد نفورا من الارتباط لما راحت تفكر في ديك لدجاجة الطاهر وشق عليها لما نسيت إحضارها وقالت "لم آت بالديك وراحت هي تضرب الأرض بمنقارها بحفرات الغضب، وتلوثها بذرقها فتلونها بلون الاستهتار"⁵، فهي تدرك أنه كما أن للفرد غرائزه جنسية فذلك هو الحال بالنسبة إلى الحيوان إلا أنه بالنسبة للإنسان ما يميزه عنها في الحب وتكييف هذه الغريزة، باستثناء سالمة، فهي من فصيلة أخرى تحب الأموات وتعشقهم وتبغض الأحياء

¹ خير الله عصار: "مقدمة لعلم النفس الأدبي"-ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر ص 154 .

² رواية التفكك ص 79 .

³ عبد الحميد بورايو: المصدر السابق، ص 95 .

⁴ المصدر نفسه ص 88 .

⁵ المصدر السابق ص 93 .

منهما عن الآخر حين تجمعهما أحاديث متشعبة¹ وينتاب كل منهما نشوة الوعي بذواتيهما ويعي كل طرف ذات الآخر لأن "الوعي هو أن تصبح على صلة بما أنت عليه، وما تشعر به وتفكر فيه وتفعله"²، وهي كلها خصائص مجتمعة سهلت من اجتذاب كل من الطاهر وسلمة إلى بعضها.

وتبعده عن التفكير في الزواج ظاهرة المجتمع المصغر الذي تأثر به واتخذ لنفسه منه موقفا، عائلة سالمة فكلها عرق هبال -كما قالت معلمة سالمة- وشذوذ فالأخ لطيف شاذ جنسيا والأخ الأكبر سكير، والعممة العانس متسلطة اللسان لا تقول إلا الكلام الفاحش، فنتج عن ذلك تفكك البطل عن ماضيه الثوري، وهو يحمل على كاهله سنوات لم يرتبط فيها بامرأة بعد مقتل زوجته، ذلك ما زرع فيه أمراضا نفسية وعقدا جنسية، ودفع به إلى التخفيف من شدة النزاعات الجنسية إلى التردد على مقام الولي سيدي عبد الرحمان ليراقب "النساء المطلقات اللواتي جئن في محاولة يائسة للتبرك بالولي الصالح والتضرع إليه"³ ثم الرجوع إلى البيت القصدي وممارسة شذوذه وكأن هذه الشخصية ما وجدت فنيا، إلا لتشبيح رغبات جنسية شرسة تهاجمها بين الفينة والأخرى، بعلمها هذا، آثار الماضي وتسد منافذ المستقبل، ولا يحتفظ -الطاهر الغمري- في قلبه وبين يديه وداخل جيوبه إلا بالخواء والفراغ والنسيان، لأنه... لم يكن ليحمل بطاقة تعرف ولا شيء آخر يعرف على هويته...⁴، فمثل هذا السلوك ينظر له من وجهة التحليل النفسي أنه سلوك مرضي تملك البطل الذي أحس بالضياح المنتشر عبر أودية الماضي الرهيب⁵، هذا الضياح هو الذي كان وراء تلك الممارسات المرضية، وكأن تلك الممارسات تشكل "عواقب معركة مميتة تدور رحالها بين طيات جسمه الهزيل، وتتخلص في نزعتين متناقضتين: الأولى تحمل حبا لا حدود له والثانية تحمل جبنا لا يستطيع التفوق عليه"⁶ فالعجز الجنسي وضعف ثقته بنفسه في بناء علاقة شرعية مع إحدى زائرات الولي سيدي عبد الرحمان انعكس في الكتابة التي كان يدسها لهن من حين إلى آخر وهو يكتب عبارات غرامية وهن يتوهمن على أن ما كتب عبارة عن "حرز" يقيهن من المرض والسحر والشياطين، وأمام هذين العاملين (العجز الجنسي وضعف الثقة بالنفس)، سلك مسلكا شادا . وما زاد من

¹ أحمد حيدوش: مجلة الكاتب الجزائري، المصدر السابق، ص 226 .

² مصطفى حجازي الإنسان المهودر، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب 2005، ص 323 .

³ المصدر نفسه ص 7.

⁴ د. بشير بوجيرة: بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، المصدر السابق، ص 180-181 .

⁵ أنظر: المصدر نفسه ص: 197-198 .

⁶ رواية التفكك ص 193 .

خوفه في ربط علاقة شرعية مع إحداهن، تمرد سالمة وكرهها الرجال، فهي كشفت له في أكثر من مرة تحاملها عليهم، إلا عشيقا واحدا منهم ميت سيد أحمد العداء ومدرس الفتيات أثناء الثورة، فنتج عن صراعه هذا انطواءه وعزلته فبحث عن الارتياح النفسي بالمعاناة الذاتية وهو ما يدعى "بالمازوشية".

ولعل الروائي أراد لتدخل سالمة في حياة البطل، توفير الجانب التعويضي للحد من مسببات القلق والعزلة، ويشاد هذا التعويض على شعور نفسي، على شعور بالدونية نحو سالمة أولا، وإحساسه بالنقص نحو رفاقه ثانيا، ذلك ما أظهر مبالغة في الإشادة بخصالهم.

إن ممارسته الشذوذ الجنسي لأجل تلبية دافع إنتاج الرعشة والتناسل الخيالي هو من الممنوعات الأخلاقية لذلك كان البطل يخفي تصرفه الشاذ ولا يقوم به إلا في بيته القصديري تجنباً للفضيحة، ومع ذلك جعل الروائي شخصية سالمة تطلع على شذوذه، وهو ما نرى فيه توجيهها من لدنة قراءه ولهل ذلك كله يعود من وجهة التحليل النفسي إلى عقدة النقص التي عان منها الروائي في صغره لما عاش طفولة قاسية بعد تطبيق أمه من قبل والده، وتعرضه إلى قسوة العمات¹، ذلك ما يدفعني إلى الحديث عن تعميم رشيد بوجدره لغة الجنس وفعل الجنس اللذان استفز بهما قريحة المالق/القارئ في كثير من رواياته، إذ لم تكن سالمة في استنزازها الجنس الآخر واستهتارها بالقيم والأعراف من خلال متن "التفكك" إلا ترويجا للكلام الفاحش والسلوك الجنسي المحظور الذي ظل يكتبها منذ تاريخ طفولته. وبالتالي إفراغ جزء من معاناته الطفولية على كثير من شخصياته. فهو في رواية "التفكك" يسمع الطاهر الغمري الكلام الفاحش وفي رواية "الإنكار" يسمع رشيد الكلام نفسه على لسان عمته لما كانت تطارده وأبناء عمومته وتسمعهم أقبح الألفاظ، ونفس الكلام ينطبق على رواية "المرث" بالإضافة لإطلاع الأنا-الراوي في متن "الرعن" على العملية الجنسية، وروته الأنا- الرواية (الطبية) في متن "ليليات امرأة أرق"²، كما صورت صبية المترو تفاصيل جسدها وهي تنتظر صديقها الصغير³.

¹ أنظر: روايات رشيد بوجدره، التفكك، الإنكار، التطبيق، المرث.

² أنظر: المصادر نفسها بالإضافة إلى ليليات امرأة أرق، الإرث.

³ رشيد بوجدره: الإرث، ترجمة جيلالي خلاص-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر ص 111.

وبناء على ذلك يمكن القول: إن الروائي من خلال اختفائه وراء شخصيات أبطال روايته أراد الإفصاح عن شخصية واحدة تسعى جاهدة إلى تلبية الرغبة الشبقية، والإحساس باللذة على حساب المجتمع تمثلت هذه الشخصية في الروائي نفسه.

وكأن بوجدره أراد ضرب المجتمع في عمق أخلاقه، أراد الانتقام من تجريح العمات له، وظلم الأب لأمه الطالق والتي طال انتظاره لها يرجو عودتها ويحذر بطش أبيه ما جعله يردد "كنت أطالب في تلك الأونة بالذات استرداد أمي المجروحة

لأمه المخدوعة، ولا تكاد تخلو رواية من روايته إلا وألبس شخصية بطلها ثوب معاناة مرارة الطلاق، فأم البطل في الرواية "معركة الزقاق" قد طلقها والده" وهجرها منذ أربعين عاما وتزوج عليها عدة مرات²، وهو الشيء نفسه الذي وقع لبطله رواية "الجنازة" حين طلق والد البطله أمها وهي لا تزال في الخامسة من عمرها فما هي تقول: "كان عمري خمس سنوات عندما غادر أبي ... من المؤكد أنه كان قد تزوج ثانية، وأعطى طفلا لزوجته الجديدة"³. وبذلك يكون تشخيص البطل لغة وسلوكا نابعا من الوجهة الانتقامية أكثر من الشهوة الغريزية.

ولأجل هذه الأسباب أراد الروائي أن يخلع عقدة على شخصيات "التفكك" فعاكسها في سلبية البطل وانطوائه ودفع به ذلك إلى توظيف الجنس خلال محطات كثيرة في "التفكك" ذلك ما يدفعني إلى القول: إن معظم روايات بوجدره قد استقى مادتها من طفولته بشكل جلي، أو بصورة خفية ويظهر ذلك أكثر ما يظهر في رواياته "التطليق والإنكار ومعركة الزقاق والمرث ليليات امرأة أرق"، ويقول في هذه الرواية الأخيرة: "تفكيركم لا يستطيع أن يعلو... تفكيركم لا يتعدى أعضاءكم التناسلية... قوتكم في مشاهدة الجنس... حتى أنتم رجال الدين كلكم مازوشيون"⁴ أو قوله: "مسكين المواطن عندنا. سلاح هو... كل النهار مقهور وفي الليل يفش غيظه"⁵ هذا بالإضافة إلى متن "التفكك" الذي نظر فيه إلى الجنس من خلال بعدين: البعد الأول الجنس المحصور في العملية الانتقادية له كما استعمل أقبح الألفاظ التي تتم في مجملها على مرض نفسي لدى صاحبها.

¹ أنظر: روايتي المرث والإنكار.

² رشيد بوجدره: معركة الزقاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 138.

³ رشيد بوجدره: الجنازة، ترجمة د. خليل أحمد خليل، ANEP الفرائي، 2003 ص 25.

⁴ رشيد بوجدره: ليليات امرأة أرق - المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984. ص 85.

⁵ المصدر نفسه.

لأن "التعود الدائم والمستمر على الممارسات الجنسية يؤدي إلى الفشل الجنسي العنة في الكبر أو العجز الجنسي الآخر وإلى تليد الذهن ونقص الذاكرة والنحول العصبي وحتى الجنون"¹ وهو ما يعرف عند علماء النفس بمحاولة استقرار الليبيدو، والارتداد إلى مناطق اللذة عند البطل والتي خلفها سلوكه هذا عن طريق الخيال، لا عن طريق العودة الفعلية إلى الموضوع "وهي خطوة تلي الإحباط عادة ويمكنها أن تؤدي إلى النكوص"² ولأن الفنان يسلك مسلك العصابي في إشباع دوافعه الغريزية ويختلف عنه في معرفة مسلك الخروج منه، أراد الروائي بوجردة أن يستبدل "بأهدافه القريبة أهدافا أخرى تتميز أولا بأنها أرفع قيمة من الناحية الاجتماعية"³ حين لم ينسه خياله أخلاقية المجتمع وجعل يمارس شذوذه في سرية، ولم يجهر بها أمام موضوع اللذة "النساء الزائرات"، وذلك ما جعله يتسامى عن مباشرة إحداهن وكيف بعمله هذا من الرغبات الشبقية التي ظل يعاني منها.

حتى أنه لجأ في كثير من الأحيان إلى "الكبت التام للنشاط الجنسي الحقيقي والذي لا يهيئ أحسن الظروف للتسامي الحقيقي"⁴ لأن الغريزية الفطرية تفرض نفسها مهما حاول الفرد التموه أو القمع.

البطل والصراع الديني:

إن المعتقد الديني في التحليل النفسي "عبارة عن وضع القوى التي تتحرك في اللاوعي موضوع العمل على الصعيد الاجتماعي، فيمكن القول: أنه كاعراض العصابي تسوية بين رغبات الأنا والعائق الذي يمنع تحقيقها"⁵ وهو ما عايشه البطل الذي لم يستطع تلبية رغباته التواقة للانعتاق والتحرر من تقاليد المجتمع، حين خضع في صغره إلى تنشئة محافظة وجه إليها مجبرا -شأنه في ذلك شأن أترابه- تعلم القرآن وعلمه، وهو يقول في ذلك "لأنني كنت مدرس قرآن وبدأت كفلاح فقير أجبر على ترك أرضه واللجوء إلى القرى حيث تعليم القرآن شئى يسير"⁶ ثم انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بحكم الحاجة والعرف، لم يبق في صفوف

¹ فيصل محمد خير الزاد: الأمراض العصابية والذهانية. ط1 ص 213 .

² جان لابانش: نو ح ب بونتايس، معجم مصطلحات التحليل النفسي، د.م.ج الجزائر 1985. ص 153 .

³ مصطفى سوييف: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ص 199 .

⁴ د. عبد المنعم الحنفي: المعجم الموسوعي، المصدر السابق ص 494 .

⁵ د. نور الدين طوالي: في إشكالية المقدس - منشورات عويدات - بيروت، باريس. د.م.ج الجزائر ص 13 .

⁶ رواية التفكك ص 179 .

الجمعية إلا مدة عامين، ولكونه لم يتكيف مع هذا المجتمع بدأ يراقب سلوك أعضاء الجمعية ويترصد أخطاءهم ويبدأ له كل عمل يصدر عن هؤلاء منافيا لنزواته وبالتالي يحدث قلقا وصراعا دينيا داخليا حادا في نفسية، كون هذا العمل لا يتوافق و(أنا) بطل الرواية، فكل على (الأنا الأعلى) التدخل لتعطيل مبدأ اللذة، والسيطرة على (الأنا) وتوجيه اللوم له والشعور بالذنب، ما جعله يشك في العقيدة كلها لأن "السلوك الديني بكليته ينتج فعلا، في تحدياته العميقة، عن ذات الصراع النزوي الذي يعمل الذنب فيه باستمرار لحصر النزوة أو لتحويلها عن أهدافها"¹ فهو يشعر بصراع وقلق داخليين تمثلا في عدم توفيق بين متطلبات الهو التي تنزع إلى الإشباع وبين مقتضيات الدين والأخلاق، وقد نزع اندفاعات الهو حين اطلع الطاهر الغمري على مبادئ الحزب الشيوعي والتي رأى فيها تحرر من كل قيد فتكونت لديه معتقدات اجتماعية واقتصادية وفكرية جعلته يسعى إلى ضرورة تطبيقها على الواقع.

وفي ذلك وجد البطل تبريرات من شأنها التخفيف من شدة الصراع لديه، فراح يفصح أخطاء أعضاء الجمعية، وعدم التوفيق بين عمالياته النفسية جاء نتيجة لاندفاعاته الطفلية والحرمان الذي عاشه وسط أعضاء الجمعية في كهولته والذي كان نابعا في الأساس من البحث عما هو مقدس يكون حاميا له من حالات البؤس والشفاء خاصة بعد ما وجد في بعض أعضاء الجمعية الذين استخدموا الدين لأغراضهم الشخصية وتنافت أعمالهم وتعاليم الدين فراح يصورهم وعلى رأسهم² الشيخ السبتي وبعض المترمتمين بالمستغلين للدين في سبيل قضاء مأربهم، ما جعل البطل/الروائي ينقم على رجال الدين في أعماله الروائية ومنها قوله في رواية التفكك "ليليات امرأة أرق" أنتم رجال الدين في كلكم مازوشيون"، وفي حديثه عن عدم السماح لبطله رواية "الجنابة" بالمشاركة في تشييع جنازة أمها من طرف رجال الدين "ما كان يحق لي المشاركة في الجنابة. كنت قد رشيت القبار والإمام. تظاهرا بأنهما لم يلحظاني"⁴ بل صور حتى دنولهم الخلفية عن الناس من فسق وفجور حيث تفتح لهم محلات البغاء والمومسات، لم يكتف بهذا كله بل راحوا يتحلقون حول موائد اللائم التي يعدها الفلاحون الفقراء ويزيدون على ذلك في أخذ دجاجات وبيض الدجاجات التي يقبلونها باسم الهدية وهي في نظر الطاهر رشوة، ويبدأ أحد منتفخي

1 د. نور الدين طوالي: في إشكالية المقدس المصدر السابق ص 13.

2 انظر رواية التفكك ص 64.

3 رشيد بوجدة: ليليات امرأة أرق، المصدر السابق، ص 85 .

4 رشيد بوجدة: الجنابة، المصدر السابق، ص 28 .

البطون منهم على - حسب تعبير البطل - "ذهب المولى يرتل طلامسه على جبين أحد الأطفال المسلولين"¹ طامعا في الحصول على المزيد من العطايا.

وحين كان يدافع عن هؤلاء البؤساء فكثيرا ما كان يدور بينه وبينهم صراع قالوا أنت كافر يا رجل؟ فقلت العزة للكفر والله أكبر، اتهمت بالزندقة وهم يأكلون لحم الخنزير² ويزداد صراعه بين ما هو مقدس ديني ما توافق وغرائزه الكامنة والساعية في الوقت نفسه إلى التحرر من تعاليم الدين لأن البطل على حسب النويهي "إنسان تنازعه تيارات متضاربة تبلل حياته رغبات كثيرة"³ وأمام هذه الإشكالية "تتدرج الفرويدية بين الشعور الديني والقلق الطفولي إن لم يكن العصابي الذي يعبر عن التوق إلى الأب الغائب"⁴، فهو "غائب لأنه متسلط وهو غائب لأنه خائن"⁵ ولقد وجد البطل الأب الممجد هنا في العقيدة الإلحادية في الشيوعية التي وجد فيها المقدس الحامي من البؤس والشفاء، وجد فيها - حسب اعتقاده - المساواة في استرجاع حقوق الفلاحين خاصة لما تغلب على قلقه وصرخ في وجه زعماء الجمعية "الأرض لمن يخدمها، قالوا أنت كافر يا رجل ... قلت أهلا بالكفر أهلا"⁶ هذا ما جعل القمع السياسي الذي عاشه الطاهر، بالإضافة إلى الكبت الجنسي يتحولان إلى تمرد وحب للاستطلاع، وهنا "تتحول الغريزة الجنسية بالتسامي إلى حب الاستطلاع والبحث ويصبح البح قهريا وبديلا للنشاط الجنسي"⁷ وهو ما اتخذته البطل تبريرا وارتمى في أحضان الحزب الشيوعي، وزاد القلق لديه بصورة متناسبة مع وتيرة الانقلابات الخارجية، وأصبح يعيش معتقدا هجيناً، لم يستطع خلاله مسايرة معتقده الأصلي الذي فطر عليه، كما أنه في الوقت نفسه تدفعه غرائزه إلى التحرر ومسايرة العقيدة الجديدة التي اعتنقها " هذا الانبعاث للمقدس الهجين هو

¹ رواية التفكك ص 7.

² المصدر نفسه ص 64 .

³ انظر: عبد الله حلي، الفكر الفرويدي المصدر السابق ص 127 .

⁴ د.نور الدين طوالي: في إشكالية المقدس - المصدر السابق ص 13 .

⁵ أحمد حيدوش: مجلة الكاتب الجزائري، المصدر السابق، ص 219 .

⁶ رواية التفكك ص 65 .

⁷ عبد المنعم: انظر د. عبد المنعم الحنفي: المعجم الموسوعي للتحليل النفسي المصدر السابق ص 494 .

الغموض الذي يميز مجتمعات ما بعد الاستعمار التي تتخلص عادة من فاصل ثقافي يكون أحيانا¹ وهذا المعتقد الهجين سببه دفعات كامنة في نفسية البطل جعلته يتخلى بطريقة مستمرة عن ثقافته التقليدية وينتسب إلى ثقافة غربية، والتي وجدها في تعاليم العقيدة الشيعية فأحس بتفكك ديني، ولعل الروائي أراد الإشارة إلى "احتدام الخلاف، خلال الثورة وبعد الاستقلال، مما دفع بالروائي الجزائري إلى مناقشة بعض هذا الخلاف من خلال شخصيات تتبنى إيديولوجيات مختلفة"² إذ أنه انفصل عن المقدس الشرعي ليرتمي في أحضان المقدس الإلحادي، وأصبح بذلك يؤمن بتعاليم هذه الثقافة، وفي ظل تواجد شخصية الحكيم "كينون" التي تؤمن بالتيارات المادية، ما أدى بالبطل إلى "الوقوع تحت تأثير الحزب الشيوعي الفرنسي في الكثير من المواقف"³ ويسعى إلى البحث عن "الحاجة إلى الهوية المشتركة من خلال الطقس"⁴ والتي وجدها في رفاق درب نضاله، وفي زبائن فندق السعادة، من بطالين وحشاشين، بل وشدته هذه العقيدة إلى أن يطرح تساؤلات عن ممات الألماني: "هل طلب أن يغطي نعشه بالعلم الأحمر؟ وهل شيع من قبل حشد غفير على رأسهم زبائن فندق السعادة، وهل رفعت في جنازته صورة ستالين وهل أقيمت التظاهرات؟ وهل..."⁵ وفي هذا الانسلاخ الثقافي العقائدي مؤشر على الصراع الذي عايشه وهو في الحقيقة يدل على ذنب خفي كامن في نفسية البطل، لم يظهر ذلك الذنب إلا بعد أن عكس البطل/ الروائي حقه على دينه الذي جبل عليه على شخصيات التفكك، وتغيرات لديه المفاهيم وأصبح يشمئز من كل مصطلح يمت بصلة إلى الدين الإسلامي فما هو يفهم سالمة أن كلمة مسكين على أنها في تعبيره "... مدرس القرآن المدهن الغدار والحقير..."⁶ بالإضافة إلى أن تفككه العقائدي هذا جعله يشكك في كل ما هو غيب في قوله: "ونمكت هكذا أياما وأسابيع نتفرج على يوم القيامة"⁷ أو في محاوره سالمة له "كل شيء صراع، عم الطاهر، لماذا قلم القصب هذا لولا حنينك لأيام تعليم القرآن، تفرمطت، تزنجت تشبعت، تمرکزت... أهلا... يا

¹ د نور الدين طوالي: في إشكالية المقدس-المصدر السابق ص 16 .

² أحمد حيدوش: مجلة الكاتب الجزائري، المصدر السابق، ص 95 .

³ بشير بوجيرة محمد: بنية الشخصية في الرواية الجزائرية، المصدر السابق ص 50 .

⁴ د.نور الدين طوالي: في إشكالية المقدس، المصدر السابق ص 17.

⁵ المصدر نفسه ص 53،54 .

⁶ المصدر السابق.

⁷ المصدر نفسه، ص 125 .

تعاسة الفقراء بأنانية المعزولين هلموا...¹ فالبطل في هذه الحالة كان مدعاة للشعور بالذنب ومن هنا انطلقت حالات القلق عنده على أنها تفسير للاهتمام اللاواعي بالحفاظ على توازن ثابت في مقدار المعايير الموجودة وكذلك بإشباع اندفاعه التحديتي حسب تعاليم الغرب الشيوعي، الذي ينظر إليه على أنه الواجب المقدس ويقول إن الآخرين "كانوا يقاتلون في سبيل الله ونحن نقاتل في سبيل القضية"² ثم يأتي التبرير عن الذنب بمحاولة إقصاء الآخر وتهمسه إلى درجة أنه نزع عنه كل أشكال المقاومة للاستعمار، وجعل منهم كلابا وخونة وعملاء وراح يظهر العداوة لكل من يخالفه عقيدته "كلنا نخشى الكلاب والأئمة والقيادة ذبحنا الكلاب وأكلنا لحمها، ذبحنا الأئمة في قعر مساجدهم وألقينا بجثثهم في الجب"³، وفي هذا كان يسعى البطل من خلال عملية التبرير إلى إشباع رغبته البينة في عدم الارتباط مع تعاليم الدين والثقافة اللتين ساهمتا في تنشئته "كنت مدرس قرآن نزيها وأوصلني القرآن بعد مطاف طويل، لا إلى مكة لا أبدا أترك لهم مكتهم... ليحجوا ويهجوا ويرجعوا متطاولين متنافخين بنياشينهم الجديد ولقبهم اللماح: الحاج فلان والحاج فلان... أهلا..."⁴ ترك البطل عقيدته السابقة واعتنق عقيدة افتخر فيها بالزنى، واللواط، والفسق والمجنون، وعمم⁵ هذه الأعمال على شخصيات التفكك وكأن الشذوذ صفة متأصلة في المجتمع الجزائري. ثم أنه لا يجد حرجا في انقلابه من الإيمان إلى الكفر، إلا أنه يعيب على من رجع من الغي إلى الإيمان، وهو ما أعابه البطل على حميد أخو سالمة، وراح يفتش مرة أخرى عما يخفف حدة صراعه الروحي فكشف الإباحية المطلقة بين مكاشفة لطيف أخته سالمة شذوذها لبعضهما بعضا حتى أنه كشف نوعا آخر من الزنى بعد أن تحدث عن الجنسية المثلية وهو الزنى بالمحارم (وهو أحد أصناف الزنى في عرف التحليل النفسي)، حين راح يصور مغازلة لطيف الشاذ جنسيا لأخته المتمردة

1 المصدر السابق ص 112 .

2 المصدر نفسه ص 153 .

3 المصدر السابق ص 156 .

4 المصدر نفسه ص 179 .

5 راجع المصدر نفسه ص 179، 180 .

على تقاليدنا وعلى التعالي على الجنس الآخر بقوله "النقطة على وجه المرأة أروع ما في الكون والأرض"¹، وراح كل طرف منهما يشجع الآخر على شذوذه .

إن هذا القلق الروحي الذي عاشه البطل يعبر عن " صراع داخل الذات عندما يستجيب شعور لا واع بالذنب، يتم إدراكه عادة من خلال اضطرابات قديمة بالنسبة لعلاقات الفرد مع اقتصاده الليبيدي"²، ويمثل هذا الذنب في عدم مجاراته أمور القيادة في توجيه الجمعية وعجزه عن تسيير أمورها وهو مدرس القرآن الذي حضى بشهادة الجميع على نزاهته في العمل وإخلاصه للفلاحين، كان رد فعله منطلقا من شعوره بالتفريط في التوجيه الحسن لبعض عناصر الجمعية الذين أثاروا حفيظته، وبدلا من أن يتكيف بالصورة الإيجابية التي تطمح إلى الأفضل، جاء تكيفه مع الأحداث بصورة سلبية، انتقامية وظل يثبت موقفا مسبقا في أن "مدرس القرآن...طبيعي أن يحتفظ بعادته البالية، وبطقوسه الرثة على الرغم من دخوله الحزب، تبقى معلم قرآن ويفوح جسداك برائحة الشحمة المعلقة..."³، وبالتالي فإننا نجد البطل بين مفترق الطرق، فلا الجمعية التي رأى فيها أنها جمعية وطنية ممزوجة بطبقية، طبقة الفلاحين (الحثالة) وطبقتهم طبقة (الشأن)⁴ استطاع من خلالها أن يشعر بالاستقرار الروحي وتغيير المجتمع وهو يدرس مبادئ الدين الإسلامي بتدريسه القرآن، ولا الحزب الشيوعي الذي تلاءمت مع مبادئه ورغباته الشبهة استطاع التخفيف من شدة الصراع لديه والتفكير عن ذنبه ومنه فإن البطل عاش تفككا دينيا أضيف إلى التفكك السياسي والجنسي.

إن ما أفرزته الرواية من حيث المعتقد يعبر الوازع الأخلاقي الذي يتحكم في المكبوتات ويعديلها، أما عن دلالاته فقد ينظر إليه بوجدة على أنه صراع إيديولوجي يغالب فيه الملحد المتدين لبلوغ هرم السلطة، فرجل الدين، يريد الحكم شوريا إسلاميا، أما الملحد فيريده علمانيا غير متدين، ولا يهمنه من الدين إلا إحياء الطقوس العقائدية والاحتفاء بالتقاليد البالية، ومن هنا تظهر شساعة البون العقائدي، والتوجيه القسري للقارئ من قبل الروائي- بطريقة شعورية أو لاشعورية - إلى نتيجة حتمية تكمن في أن الدين والسياسة ضدان لا يأتلفان.

¹ المصدر السابق ص 207 .

² د.نور الدين طوالي:الدين والطقوس والتغييرات- منشورات عويدات- بيروت،باريس،د.م.ج الجزائر ص 23 .

³ المصدر نفسه ص 61 .

⁴ المصدر نفسه ص 64 .

التعويض العلاجي:

إن من أهم الوسائل التي خضع لها البطل تكمن في الدفاع اللاشعوري الذي أراد من خلاله التكيف مع ظروف عالمه الداخلي والعالم الخارجي، ومن بين الأعراض التي استعملها وهو يخضع إلى معالجة لاشعورية في ظل وجود شخصية سالمة المساعدة له على التخلص من عقدة والتحرر نهائياً من الأزمة التي كان يعيشها: التعويض والإسقاط والتبرير والتماهي والاندماج مع الواقع نوجزها في الآتي:

التعويض: وهو وسيلة يحاول فيها الفرد الإفلات من الضغط المسلط عليه بإحدى طريقتين: طريقة سلبية تتمثل في مواجهة الموقف بالهرب والتخلي عنه، وهو نوع من التكيف السلبي، ويجد الفرد من خلال هذا النوع التبريرات لتغطية فشله، وطريقة إيجابية وبواسطتها يستطيع تفرغ كل مكبوت شكل له أما فيحس عقب ذلك بلذة واطمئنان من خلال ما يسقطه من دوافع مكبوتة على الموضوع. وبطل التفكك استعمل النوعين مع التعويض السلبي والتعويض الإيجابي، وذلك بعد أن اطمأن لسالمة واستأنس بها وهي التي قد رفض الاحتكاك بها في أول الأمر.

التعويض السلبي: وهي طريقة سلكها البطل للخروج من الضغط بطريقة سلبية حيث أنه يتكيف مع الموقف بالابتعاد عنه أو تحاشيه، فحين كانت سالمة تسبب له ضغطاً من خلال أسئلتها الملحة، يحدث ذلك داخله صراعاً يلجأ إلى تعويضه، لا بالمواجهة المسؤولة والتخفيف من الضغط الذي يعانيه، إنما بالهرب ومقاطعتها " فهو لا يهتف لها... لا تزوره... بل يبقى كل واحد متشبثاً بموقفه فيلومها... ويصارع نفسه بأنها تخدعه"¹، ويجد للموقف التبرير الأنسب الذي يعوض به فشله في مواجهتها، وحين تصل سالمة إلى الاقتراب من تحريره من ضغوطه النفسية يجد لها كل المبررات فتارة يهمل أسئلتها ويركز في تحضير الشاي، غير مبال باستفزازها له، وتارة ينظر إليها أنها مخادعة ومرة أخرى يتهمها بأنها تعمل جاسوسة للمخابرات العسكرية، لأنه تنقصه الشجاعة للتغلب على عقدة نقصه والشجاعة هي " أن نواجه الحقيقة وأن ندفع بها دائماً إلى ساحات شعورنا لنعيش دائماً في ظلها لا في ظل الزيف والخداع"² و يبلغ صراعه الداخلي ذروته إلى حد التفكير في الانتحار، فالرغبة في "الموت لذا الكائن البشري هي التمثل

¹ د.نور الدين طوالي: الدين والطقوس والتغيرات المصدر السابق ص 147 .

² عبد الحميد محمود طهماز : حياتنا والموعود المجهول، ط2، دار القلم، دمشق 1986 ، ص 7 .

السيكولوجي لمبدأ الثبات"¹. هي كلها أسباب تبدو منطقية لتفسير فشله حين كان عضوا في جمعية العلماء المسلمين، ولم يفلح في تسيير أهداف الجمعية إلى الوجهة الأخلاقية التي رسمت لها والأخذ بمزمار الأمور وإقضاء كل فرد منها يستغل الجمعية لأغراضه الشخصية، من جهة، وتقصيره في إدارة الشؤون السياسية وهو على رأس الحزب الشيوعي من جهة أخرى. هذا الفشل جعله يفقد هويته ويعيش مع طبقة الفلاحين (الحثالة)-كما يخلو له تسميمهم- واستسلم للضعف والعزلة بدلا من الشجاعة والتحدي "لأن الشجاع الحق مطبوع على الأنفة شديد الإحساس بذلة"² واندمج بطريقة لا شعورية مع محيط هذه الطبقة وقلد كثيرا من سلوكهم، بدلا من أن يعيش على نهج أولئك الذين ما فتىء يذكرهم ويردد "ليضمني ظلمهم"، وفضل البقاء هكذا مغلقا على نفسه كل الأبواب كل النوافذ، حصنا بجسمه داخل بوتقة قشر منها كل حواسها وعواطفها وإحساسها وشعورها، فلم يترك لها منفذا ولا لنفسه مخرجا، يكوم أكداس العقد النفسية، يشعر بمركبات النقص والذنب"³، وهو مركب نقص ظل يتجرع مرارته وهو يشعر بالعجز نحو رفاقه الذين ماتوا مذبحين، مقتولين، معدومين، مصقولة رؤوسهم، مشنوقين، محروقين، أمام هذا الإحساس قرر البقاء صامتا لا ينبس ببنت شفة وحاول أن يقاوم علاج سالمة له في النوع الثاني من العلاج نقف على النقيض تماما.

التعويض الإيجابي: أراد البطل من خلال هذا النوع من التعويض الخروج من عزلته بمساعدة سالمة من دوامة الصراع والإحباط الذي كان يعيشه، وذلك بإسقاط دوافعه الكامنة من خلال دور سالمة الذي كان بمثابة المثير، والتي أراد بواسطتها إزاحة واقعة نفسية والمتمثلة في الشعور بالذنب على مستويات دينية وسياسية وجنسية إلى ما هو واقع بالخارج، وقد استطاع بعملية التعويض هذه إخراج ما كان لا يريد الاعتراف به في النوع الأول من التعويض وفضل الهروب، لما مارست سالمة نوعا من الضغط النفسي عليه تريد من ورائه تحريره من معاناته وتفرغ ما كبتته، وكانت كلما استعملت وسيلة الإثارة قولا كانت عن طريق الأسئلة، أو سلوكا بمقاطعة زيارتها، إلا وراجع نفسه ونظم أموره وتغلب على حاجز الخوف الذي كان يحس به، فهي حين تسأل ويرفض الإجابة تقوم بعملية استفزازية بواسطة أسئلتها تريد فضحه لا شعوريا، وكلما تحدث إليها إلا وبادرته بأسئلة أخرى "صعدنا الجبل أو صعد الجبل إلينا أتانا الجبل، كيف يأتكم الجبل؟...كيف يوصلكم الجبل إلى الثورة؟ بل يوصلني، أوصلني، لقد أوصلنا- حتى الأشجار أصبحت شريكنا في

¹ عباس محمود العقاد: عبقرية عمر، دار النجاح للكتاب، الجزائر، 2003، ص 90 .

² د.مصطفى غالب: المصدر السابق، ص 31 .

³ د.نور الدين طوالي: الدين والطقوس والتغييرات المصدر السابق ص 146 .

العملية...¹ وهنا تصمت سالمة وتتركه يسترسل في الحديث معوضا بذلك بطريقة إيجابية هذه المرة جزءا من معاناته، متحررا من آلامه وهي في هذا الموقف تسعى إلى "ربط الأحداث بسلك الذاكرة الرهيف والخصب في نهر واحد"²، وتكون بذلك قد أدركت أن التحرر من عقد النقص يبدأ دوما من الرغبة وحسن الاختيار والاطمئنان إلى المعالج فتشجعه من حين إلى آخر بقولها "أضرب خمسة عم الطاهر" وأحيانا تقص عليه جزءا من حياتها فيتما هي صوتها بصوته ويندمجان حتى يخيل للقارئ أن السارد واحد، تقوم بعملها هذا حتى لا ينقطع تسلسل حبل أفكاره، ويدرك البطل أنه يتغلب على عقده ويجتاز حاجز ما لا يريده ويشعر بأن "الكرامة الإنسانية تتكون من اعتماد الفرد ملكتي المعرفة والإرادة"³ ويعترف "كانت تريد مساعدتي على تنسيق الأحداث من جديد وربط أجزائها ببعضها بعضا"⁴، واستطاع في النهاية أن يندمج مع وضعه الجديد ويراجع ماضيه بطريقة لاشعورية وتقمص كثيرا من تصرفات سالمة، ومحيطها، ذلك ما مكنه من كتابة ليليته التي أحجم عن كتابتها طويلا، ومنذ أن عرف سالمة تحسنت العلاقة بينهما وبدأت مظاهر التغيير تحيطه فكتب على باب منزله "دار الهناء"، وانقطع عن شذوذه الجنسي وعوضه بكتابة التاريخ ثم إنه تغلب على إحباطه بعملية تمويهية وبرر لسالمة يقول: "لا أكتب للتاريخ... أكتب للترويح عن نفسي والتخفيف من سعالي ووقاية أوردتي"⁵ وأصبح بذلك لا يتوقف عن الكتابة طيلة الليل لا ينام إلا بعد صراع آخر صراع مع الزمن الذي يظل فيه الإنسان "بين الحياة التي تمثل الإيجاب والدهر الذي يمثل القوة السالبة ويتمخض هذا الصراع بين الإنسان والدهر"⁶ والبطل في "تسابق مع الموت، يحتضر من رثيته يخاف أن تلعب له لعبتها الماكرة فيموت قبل الانتهاء من تدوين ذكرياته وتدبيح ليليته"⁷، وتحرر من ضغوطه السابقة بفضل معالجة سالمة التي أراد لها الروائي أن تدخل حياة البطل من فضولها وتكرار الزيارات له، وقد فهم الطاهر الغمري دور سالمة في حياته، وأدرك أن النفس البشرية شبيهة بالحرب الأهلية، وفهم "أن المعركة تدور رحالها بين الشخص وذاته، بينه وبين ظله أو شبحه

¹ المصدر السابق ص 151 .

² المصدر نفسه ص 154 .

³ حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي، المصدر السابق، ص 274 .

⁴ د.نور الدين طوالي: الدين والطقوس والتغييرات، المصدر السابق ص 153 .

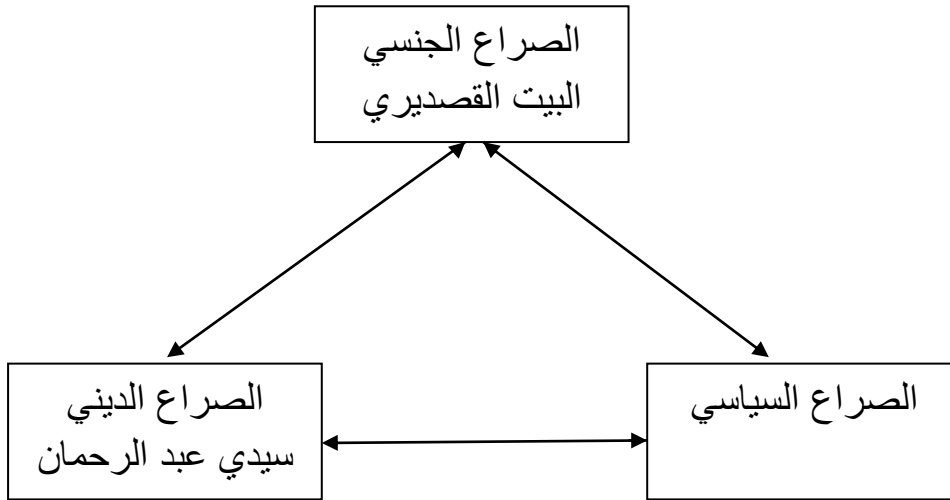
⁵ المصدر السابق ص 165 .

⁶ د.حسن عبد الجليل، المصدر السابق، ص 282 .

⁷ د.نور الدين طوالي: الدين والطقوس والتغييرات، المصدر السابق ص 231 .

أو صنوه أو قرينه، أو نظيره...وهناك حروب أخرى لا تستعمل فيها الأسلحة المقاتلة الفتاكة¹ تغلب البطل على عقده وأسقط جزءا مما كان يحس به عقدة الذنب، وتخلص من الصورة التي كان يحملها في جيبه، وخصص لها مكانه الأنسب فعلقها على جدار بيته القصديري مستغنيا عن هذه "الصورة البالية التي طبعتها الحياة بكدمات نهائية وصفحتها زخامة الأيام المتراكمة"²، وانطلق يتجول في حدائق المدينة، وامتنع عن قراءة الجرائد التي زادت أخبارها من هجره المجتمع، حتى البقرات فقد أهملها، ولم يعد يذهب إليها في الميناء، وإذا كان الميناء وزاوية سيدي عبد الرحمان دائما الحضور في مخيلة الطاهر، فإنهما أصبحا الآن لا يثيران اهتمامه كثيرا، فهو إذا انطلق من البيت القصديري إلى المدينة، لم يعد يشعر بالحاجة إلى ترصد ما يحدث في الميناء، أو ما يدور بالزاوية، لأنه ببساطة تحرر من عزلته، عزلة الثالوث المحرم والمتمثلة متن "التفكك" عزلة البيت الذي مارس فيه شذوذه الجنسي، وعزلة زاوية سيدي عبد الرحمان الذي انتقد من خلاله الدين الإسلامي، وعزلة الميناء الذي تمرد فيه على السياسة.

(انظر الشكل 3)



(الشكل 3)

¹ المصدر السابق.

² رواية التفكك ص 244 .

وعود نفسه على الاستجمام الدوري وأطال شاربه الذي يدل على الرجولة وغير ملبسه، فتغير شكله وتغيرت بعض من أفكاره، وجاء تأثير سالمة بالغ الوقع على حياته "فكان كلامه يقرب منه مرور الزمن وما كانت سالمة تقوم إلا بمحاولة إخراجها من هوسه ومن عزلته، فتعمل على إقناعه بترك هذه الأمور جانبا ويخوض الحياة من جديد"¹، فكما استطاع البطل في نهاية حياته الكشف من خلال الارتداد إلى ماضيه وحنينه إليه، استطاعت سالمة الوصول إلى غايتها وانعكس تأثيرها على مستويين:

1- على مستوى الفردي:

ساهمت هذه الشخصية في إحداث ثورة نفسية على حياة البطل حين سعت جاهدة على ألا تقيم له نصبا تذكريا حتى لا يزيد الغرور في عزلته "إنما تريد تشجيعه على التخلص نهائيا من هذه العقدة"² وتخلص بالفعل من عقدة التي ظلت ملازمة له طويلا، وتصالح مع ذاته ودون ليلياته ويوميته التي كانت تاريخا لحياته، فتخلص مما عاناه، قبل الميته التي تمناها طويلا "ليضمني ظلمهم" بعد أن أخلص لرفاقه الذين ماتوا كلهم شر ميته، وسجل تاريخهم ومات هو الآخر يعاني من رثيته ولم يسمح لأي طبيب معالجته وفاء لرفيق دربه الحكيم الأجنبي. "لقد مات أروع ميته، لقد مات مثل الآخرين"³، ترك نفسه يتأكله سرطان السل، بعد أن عاش مخلصا لأصدقائه وفيما لزوجته سعيا إلى رموزه (ليضمني ظلمهم، هل يستقيم الظل والعود أعوج...). كما أن سالمة التي لعبت دور المثير لدوافع البطل، وتفاعل بطريقة عادت بالنفع عليها فلعب هذا الرجل في حياتها دور الأب والعشيق والرائد الثوري، من جهة، وظفرت من جهة أخرى بسبقها إلى غنيمة نادرة تمثلت في تدوين تاريخ أمة - على الأقل من وجهة نظر صاحب التفكك-.

2- على المستوى الجماعي:

أراد أن يؤكد على الهوية الجماعية والانتمائية إلى المجتمع إلا أن التفكك ظل سائدا، حين صور لنا البطل نظر إليه من منطلق متشائم نظرة متحيزة لجماعة من المجتمع ساعيا إلى تعميم "التفكك" الذي شعر به (السياسي، والديني والجنسي) على الأمة كلها، فجاءت رواية "التفكك" شاهدا على تفكك صاحبها، لا على تفكك المجتمع بالطريقة التي صورها بها.

¹ المصدر السابق ص 145 .

² المصدر نفسه ص 147 .

³ المصدر نفسه ص 276 .

وذلك ما يغريني بالقول بأن متن "التفكك" قد جسد معطيات واقعية ببُعديها النفسي والاجتماعي وعلى مستويات عديدة منها ما هو سياسي وما هو ديني وما هو جنسي، وقد تجسد المستوى السياسي في ذلك الصراع بين زعماء الحزب من جهة وبين قادة الجمعية من جهة أخرى، بين صراع الروائي المنعكس على شخصية البطل -الطاهر الغمري- مع التنظيم السري أثناء الثورة، والسلطة الحاكمة أثناء الاستقلال ما بين (سنة 1965 وسنة 1978) ومعارضتها إيديولوجيا، فكان التفكك السياسي.

كما ظهر التفكك في تفشي الجنس قولا وفعلا، في شخصيات الرواية، وطغت الوصفية الجنسية على النص الروائي، وتأرجح التصوير بين المعني والمحدود، والبعد النقدي الذي أراده الكاتب. أما فيما يخص التفكك الأخلاقي فجاء الدين كمعطى عقائدي أراد له الروائي الحصر في القضاء والقدر والانغلاق على الشعوذة والتدجيل، بعيدا عن دوايب الحكم والسياسة وهو الصراع الذي وجه فيه الروائي القارئ إلى الاطلاع على عورات أعضاء الجمعية، وإبراز مساوئهم، وكشف أطماعهم في قضاء مآربهم باسم الدين مسقطا انتقامه على هؤلاء. وهي كلها عقد نفسية سيطرت على بطل الرواية، وجعلته يشعر بكتب لم يحرره منه سوى اعتكافه في عزلة تامة ببيتة القصديري على كتابة التاريخ والذي ما كان ليعرف لولا تدخل شخصية سالمة وحث البطل على كتابة هذا التاريخ الذي مثلته رواية "التفكك".

وقد انعكست هذه الأحداث مجتمعة في الصراع العنيف الذي عاشته شخصيات الرواية، فكانت عالما مصغرا صور لنا التناقض النفسي بين الفرد وذاته من جهة، وبينه وبين المجتمع من جهة أخرى، كما حاولت هذه الشخصيات وهي تقوم بدورها الإفصاح بطريقة شعورية أو لا شعورية عن الألم الذي عانته وعن الحزن، عما هو مكبوت الذي لم يظهر إلا من خلال عمليات نفسية عديدة كالتفريغ، والاسقاط، والتمويه والتعويض وغيرها، ما أدى إلى التعبير عن الجرح ومسبباته، فكانت رواية "التفكك" حقلا خصبا للدراسة النفسية، كانت نموذجا فرويديا، إلا أنه ابتعد هذه المرة عن العيادة النفسية التي جعلها التحليل النفسي حكرا دون العقد النفسية-في بداية دراساته - كما سبق الحديث- وابتعدت عن العماليات الاشرافية التوجيهية، التي كانت تتقل كاهل المريض ماديا ومعنويا وقد لا تقي بالغرض المرجو، هذه العملية التي لطالما استعملها المحلل النفسي في معالجة مرضاه، خرجت هذه المرة من المجال العيادي الضيق إلى المجال الإبداعي الواسع، وجاء اكتشاف العقد في المجال الأدبي صادرا عن مبدع اتخذ الابداع الفني الأدبي مهربا يقيه تبعات الإفصاح المباشر من جهة، كما يقيه خطورة الكبت التي قد تؤدي به إلى العصاب المرضي، وجعل من التداعي الحر - غير المشروط - وسيلة في التنفيس عن صراعه

الداخلي من خلال عملية الإبداع مطية لبلوغ هدفه، وعكس إجابة فرويد حين سئل عن أشهر أساتذته أثروا فيه بالإشارة إلى رفوف مكتبته المليئة بروائع الأدب العالمي.

تأتي "التفكك" في النهاية لتعكس عقدا كثيرة كانفصام الهوية الذي عكسه الروائي على بطل الرواية، وعقدة الخوف والقلق، والسقوط في غياهب الاغتراب. كما جاء التمرد ماثلا في شخصية سالمة، هذا التمرد عكس انقلاب (الهو) على تقاليد (الأنا الأعلى) بل أنه نزع إلى التعالي على الدين والأخلاق، واتخذ أشكالا عديدة للشذوذ، كاجنسية المثلية التي عكستها شخصية لطيف، والتعصب الديني في شخصية حميد، والتمرد على التقاليد وعلى كل الأعراف لدى شخصية سالمة، كل هذه العقد جاءت في مجملها تنزع إلى نهج التغيير فكان التفكك.

ومهما قيل عن رواية "التفكك" لا يمكن الإحاطة بكل جوانبها، مع ذلك يمكننا الوقوف عند نظرة ختامية لها تتجسد في كونها تحمل شقين متضدين.

أما الشق الأول يكمن في جانبها الفني الذي عرضت به، وهو الجانب النفسي، إذ تعتبر حقلا واسعا لأصحاب اتجاه التحليل النفسي للأدب في اكتشاف العقد البشرية الكامنة بين أحداثها، وانعكاس ذلك على نفسيات شخصياتها.

وأما الشق الثاني: فيكمن في الجانب الأخلاقي الذي قد لا نوافق فيه الروائي في كثير مما ذهب إليه في الجانب الإباحي الجنسي وهي ميزة امتاز بها مكسرا به واحد من الطابوهات الثلاثة.

الفصل الثالث

المعجم اللغوي ودلالاته النفسية والاجتماعية
فى رواية التفكك

إن لكل عمل أدبي، أساسا يستترقد أفق امتداده، متعددًا في عملية التواصل اختراقًا لأننا المتلقى. وهذا الأساس ما يبقى السمة الثابتة في كل متغير شكلي تتناوله القصود الدلالية المختلفة انطلاقًا من صناعة الأنساق وتوجيهها.

وما صناعة الأنساق سوى بواعث العمل الأدبي وما يتحرك نحوه الأديب كقصد نهائي، أو وتشظي دلالتها عبر محاور الزمن، استدباريا واستقباليا، التي ستحدد معالم المعجم اللغوي كأساس من أهم أسس تشكيل المشهد الاحتفالي لإبداعية النص.

وهذا النص المراد بين مكونات أساسه اللغوي منتميا هو العمل الروائي ممثلا في هذه الرواية. ويجرد التقرب من هذه الاحتفالية اللغوية حتى يتبين لنا أن باعًا جماليا يحركها وقصدا متابين الاتجاهات يترصد انتهاءها التأشير.

ومن القصود التي عكفت الدراسة قصرها للتحيين والمتابعة القصد الاجتماعي المتواثر وتأثيرا وتأثيرا، بالقصد النفسي كقصد - منتهى تمييز وليس صفة لما قبلها - يتأرجح بين جمالية الموقع. وما الجانبان - جمالية الوقع وجمالية الموقع - غير ثبات الكاتب لغويا /روائيا، وتغيير المتلقى بأوليا/تذوقيا.

وتبقى بؤرة التواصل بين الجماليتين: المنطلق والمنتهى، هي هذا المعجم اللغوي في رواية "التفكك" التي سنكشف عن قوانين تسير هذه القصود، ومن ثم تشكيل جمالية الرؤية الفنية عبر رشحها النفسي المشع هنا وهناك.

إن المعجم المستعمل من طرف الروائي والذي عكسه متن "التفكك" يدل على سعي صاحبها "إلى معاينة التاريخ ووقائعه من داخل ثقافة التاريخ ونصوصها بغية التأسيس لهوية (الأن)¹، وما ترمي إليه رواية التفكك هو " تشريح واختراق كنه الكينونة الوجودية (لأننا) وهو يعبر دهاليز الزمن زمتاهات الواقع

¹ د.بشير بوجيرة محمد:التاريخ،الأنا، ثنائية البوح السردى عند بوجيرة، قراءات حول الواقع والتمثيل في رواية "معرفة الزقاق"مجلة الكاتب الجزائري يصدرها اتحاد الكاتب الجزائريين، عدد خاص،2005 ص 189.

التاريخية¹. ولعل ما تشي به توظيف طائر "الحمامة" شيء من ذلك، وفي وصف البطل لها ما يؤكد على أن الطائر "الحمام" منذ الأزل هو رمز السلام والوداعة والأمن، وفي نفس الوقت فإن البطل يلمح إلى إمكانية تدجينها "لماذا يتركونها طليقة؟"² كما أنه يرى أنها مرتبطة برمز ديني، ما يعكس النظرة الدينية لدى عامة الناس.

إلا أنه سرعان ما ينقلب على هذا الطائر، للضرورة البيولوجية التي يحتاجها كل كائن حي والتمثلة في إشباع غريزة الجوع "لماذا لا يطهونها فيأكلونها؟"³، وهو ما يدل على النظرة النفعية لهذا الطائر، وذلك ما يوحي بأن بطل الرواية -الطاهر الغمري- عاش حياته كلها حاملا روحه على كفه. حذرا من جهة، بعض أعضاء جمعية العلماء المسلمين الإصلاحية، الذين اتهموه بالردة والإلحاد بعد أن كان عضوا في صفوفها، متقيا كيد الخونة وبطشهم والذين سبق أن استطاعوا بوشايتهم القضاء على رفاق دربه، ومن جهة أخرى محاربهته للاستعمار الفرنسي. كل ذلك جعله لا ينعم بالأمن، وهو يعيش حاضره في مراقبة الحمام الطليق المتحرر عن كل القيود، فيسقط جانبا من معاناته النفسية والتمثلة في نشأته على الخوف والحذر واتخاذ الحيطة، ثم يقارن حياته المضطربة هذه، بحياة آمنة لطائر لا حيلة له ولا قوة، وذلك الاستقرار الذي تحاول أن ترسمه توظيفه لمصطلح الزمن حيث نجد النص يقول: "يخرج الصورة من جيبه (...)" وقد رسم الزمن عليها أنواعا من التجاعيد مثلها مثل عجوز مبهرجة بأوشام وقحة⁴ والمتأمل لهذا المقطع تصادفه ثنائية الزمن/العجوز المبهرجة بالأوشام والوقاحة وهي علامات يتقزز الناس منها ويتشأمون " وقد تصل هذه العلامات إلى حد الإصلاح أو العرف في دلالتها فيعلمها الناس بصورة مشتركة في تحليل مفهومها، وإن كان علماء النفس يعطونها تفسيرات عميقة من خلال تلك العلامات أخرى مدفوعة في أعماق النفس الإنسانية⁵، فالزمن يرمز له في هذا المقطع بالهرم والقدم، بما يحمله ذلك الزمن من هدر للشباب وتقريط الفرص، وتبذير للصحة، أما العجوز، فهي توحى بالثقافة القديمة وفي الوقت نفسه ترمز إلى الخداع والمكر والسحر في حاضرة (زمن الاستقلال) والذي مثل له في شخصية

¹ المصدر نفسه، ص 199 .

² رواية التفكك ص 6 .

³ المصدر نفسه.

⁴ المصدر نفسه.

⁵ محمودي بشير، البنية السردية في الرواية الجزائرية المعاصرة، رسالة ماجستير - جامعة وهران 1998 . ص54.

سالمة (الشخصية الثانية في أحداث الرواية) المتحررة والمتمردة على دينها وتقاليد أسلافها، فإن إعجابه هذا لم يكن نفسه في ماضيه. وبمجرد النظر في الصورة التي كان يحملها في جيبه ارتداد إلى الماضي الذي يحن إليه دوماً، فأسقط تشبيهه على كل ما عاناه من كبت جنسي، وسياسي، وأخلاقي.

وإذا كان قد نظر إلى فتاة الماضي على أنها عجوز ماكرة، مخادعة، ساحرة لا شيء إلا أنها كانت تحمل مقومات مجتمعتها، فهو في هذه الحال يكون قد بنى نتيجة ذلك على حكم مسبق، وكل ما يمت بصلة إلى الدين والعرف ينظر إليه البطل من زاوية الكره والتخلف فملبسها المحتشم يذكره بمعلم القرآن الذي أصبح يميته منذ أن انظم إلى صفوف الحزب الشيوعي، وسلوكها الخجول يعتبره تخلفاً وجهلاً، هذا على نقيض فتاة حاضرة المتبرجة والمتزينة المتحررة من قيود ماضي الأجداد لذا نجده ينظر إلى الصورة على أنها امرأة لكنها عجوز.

والعجوز تمثل له صراعاً إيديولوجياً ثقافياً لأن الثقافة هي عنصر أساسي في تقدم الشعوب وبناء الحضارات، فكلما كانت الثقافة متطورة في بيئة معينة دلت على أن هذه البيئة متقدمة ومتحضرة. والعكس صحيح إن كانت الثقافة في بيئة معينة متخلفة فإنها تدل على تخلفها.

وأما عن نتيجة ربط الصورة بالعجوز المبهرجة بأوشام وقحة، وإنما كان ذلك صادراً عن كبت عانى طويلاً، ونظرته إلى الصورة جعلته يعود بشريط الذكريات إلى أحداث الثورة أين ألحق المستعمر بثقافة الأمة كل أنواع الدناءة والسفالة والخبث والخيانة. فسقطت هذه الأمة بين مخالب الفقر تتخبط في جهل وتيه ما جعله يبحث عب سبل الموصلة إلى الانعتاق من هيمنة الثقافة المفروضة على الفئة المتفقة التي فرضها الحزب على أتباعه من جهة، ومن هيمنة مستغلي الدين من أعضاء الجمعية من جهة أخرى. ما جعله يعود مرة أخرى إلى الحديث عن الصورة. عن الحمامات، وعن المدينة والميناء، التي توحى بدلالاتها على الترتيب الصورة/الزمن الماضي المرتبط بهوية البطل، الحمامات/رمز تحييني، المدينة/انطلاق، الميناء/رمز التحرر.

لقد عاش البطل حياته فقيراً، جائعاً، خائفاً، وهو يعيش حاضره وحيداً معزولاً عن المجتمع، متوقفاً على ذاته، ولما شعر بذلك وجد في الصورة الوسيلة التعويضية فهي تذكره بالرفاق، بالبيئة التي عاشها، لكنه كلما نظر إليها زاد صراعه الداخلي والذي يذكره بمقتل كل من حوثة مساحتها. يتركها ويلجأ إلى الاستئناس بالحمامات فيطاردها ويلهو ويمرح على مرأى من المارة وهو لا يبالي لأنه وجد فيها رمز

التحرر والانعتاق، رمز الانطلاق والتحرر عبر الجو طيرانا، ثم يتأمل مشيتها وحركاتها فينغم على الوضع الذي عاشه في خوف وهذه المخلوقات تعيش آمنة، ويزيد صراعه أنها سميحة حرة طليقة لا تطهى ولا تؤكل وهو الذي عاش حياته يبحث عما يسد رمقه. يعود مرة أخرى إلى مراقبة المدينة التي يعوض فيها جانبا من عزلته كونها ترمز إلى التحرر أرضا بالاندماج الفئوي. كل ذلك لا بنفس عما يحس به ويجد نفسه محتاجا إلى تحرر آخر فيلجأ إلى الميناء الذي يرمز إلى بيته القصديري ويستسلم إلى الهواجس التي ترمي به إلى خارج "قصديته" مرة أخرى ويعاود الكرة من نقطة البداية فيحن إلى الصورة ويطارد الحمام ويراقب المدينة ثم يذهب إلى الميناء. "والميناء يسقط إليه مرارا وتكرارا...1"، وهو يراقب الميناء يقع في تناقض التحرر والتبعية، فبقدر ما جلب الكيناء للبطل من إحساس داخلي بالاطمئنان والتحرر والتبعية، فبقدر ما جلب الميناء للبطل من إحساس داخلي بالإطمئنان والتحرر، فهو في الوقت نفسه مصدر التعاسة والشؤم على الأمة لأنه يحمل بالإضافة إلى التحرر والانعتاق، كل أنواع التبعية، والظلم، والتشريد، والنفي، والعذاب والمعاناة.

ومن خلال الفقرة السابقة تظهر المعاناة النفسية من خلال المعجم اللغوي الموظف، والذي يحمل من الرموز النفسية، تحتاج منا إلى تفجير، ومنها إشارته إلى الميناء والذي إن كان وظف في رمز التحرر فيما سبق، فإنه في الوقت نفسه يدل على التبعية للخارج من حيث الاقتصاد والفكر والأخلاق، كما أن الميناء يذكر بطل الرواية بماضي الأمة، حين ودعت فلذة أكبادها إجبارا لديار المنفى والاعتراب والمعاناة، وذلك عن طريق البحر.

ذلك ما جعله يفكر في نوعية التعايش الإيديولوجي الذي عكسه توظيفه للألوان "...حيث يتمازج الأزرق والأصفر والأحمر معا بألوان ولعل الأحمر قد سيطر على كل ما في الألوان الأخرى"² بحيث أن كل لون رمز خاص لدى البطل فالأحمر/الثورة والعنف، الأصفر/الغيرة، الأزرق/الهدوء والارتقاء والأمل. لأن طغيان الفكر الشيوعي (الأحمر) كان واضحا في الرواية. هذه هي بمثابة صراع جسده الحاضر في دلالة الألوان (الأزرق، والأصفر، والأحمر) واستطاع في ذلك العربي الجزائري الامتزاج بالأوروبي والأمريكي، ولعل هذه التبعية المفروضة على الأمة ما جعل حدة صراع البطل في ازدياد ويشد

¹ رواية التفكك ص 7.

² المصدر نفسه.

به الأسى وهو يتساءل عن جدوى تضحية الرفاق بأرواحهم، وعن تحويل مسار الثورة وخروج الساسة عن النهج المرسوم لها، ولعل ذلك ما تحاول أن تبرزه الفقرة التالية "والبواخر وقد فتحت هذه بطونها وقدمت أحشاءها فرجة للمتفرجين لمجرد التمظهر لا أكثر ولا أقل"¹ لأن البواخر/توحي بالتححرر وفي الوقت ذاته هي رمز لتبعية والهيمنة، كما أن الأحشاء إنما أراد بها كشف المستور، والشفافية وذلك على الرغم من التمظهر الذي يدل على الزيف والنفاق.

نلاحظ اللوحة التي رسمتها الفقرة عودة البطل إلى إضهار الصراع السياسي/الاقتصادي الحاد الذي أرق كاهل البطل، ما دفعه إلى إسقاط جزء من معاناته بتعرية السياسية الاجتماعية للدولة وكشفه دواليب الحكم، وهو ينقد النهج المعتمد والمبني على استيراد كما هو ضروري، وما هو كماله، ويظهر رضى الحكام وراحة بالهم لما توصلوا إليه من صفقات، وهم يعلمون أن تمظهرهم هذا إنما هو للتباهي والتعالي من أجل إنقاذ واجهة الحكم، لا أكثر ولا أقل. تلك العودة التي يمتزج فيها البعد السياسي بالبعدين، الاجتماعي والعقائدي فيما يلحبه القارئ فيما يلي: "...زاوية سيدي عبد الرحمان وقد اكتضت بالنسوة المطلقات اللواتي جنن في محاولة يائسة للتبرك بالولي الصالح والتضرع إليه فيعود الزوج المارد"²، وهو حين تحدث عن الزاوية/ المكان المقدس، يأتي مصطلح التضرع/والدين الذي تكمن دلالاته في الجهل وعدم فهم الدين، لهؤلاء النسوة، فبدلاً من أن يتضرعن للخالق تضرعن للمخلوق، بغية إرجاع الزوج المارد/تفسخ العلاقة الاجتماعية، وذلك ما زاد في تمرد لشعوره هو الآخر بالتفكك الأسري، لكي يشبع رغباته عود نفسه الذهاب "إلى سيدي عبد الرحمان...ويحرق في أجمل عذراء... فيسلمها مكتوباً وهو يعلم جيداً أنها لا تعرف قراءته بل تظنه حرزا فتنقهه في الماء وتشرب منقوعه"³، والمرأة التي يحن إليها بعد أن فقد زوجته هي بمثابة الصورة الذهنية التي تحرك حواسه، لأن "كل إنسان يمتلك صورة واحدة فريدة من نوعها تلعب دور الهاجس المحرك لكل حياته"⁴، فحين يحرق البطل يدل على نظرة الرجل الاستغلالية للمرأة، وجين يسلمها المكتوب/يرتد إلى الماضي الشعوذة والتدجيل والاستطباب بالحرز، ما يدل ذلك كله على تخلف لهؤلاء النسوة، وجهلهن.

1 المصدر نفسه.

2 رواية التفكك، ص7.

3 المصدر نفسه، ص 12.

4 رشيد بوجدر: معركة الزقاق-المؤسسة الوطنية للكتاب-ص 45.

مما لا شك فيه أن المقطع الأنف يتوافر على دلالات نفسية كفيّلة بإضهار معاناة أخرى للبطل، نجسدت في الجهل الذي يعيش في عقول النساء خصوصا جهلهن للدين، وهن اللواتي يعددن أجيال، وتبعات جهلهم انجر عنه تفسخ في العلاقات الاجتماعية، والاضطرابات الوجدانية التي تعانيها العلاقة الزوجية، وما يترتب عنها من انحلال خلقي.

كما أن لظاهرة النساء المطلقات بعدا في انحلال المجتمع وعدم فعالية التكافل الاجتماعي، ذلك ما مثلته هذه اللوحة/ الفقرة حين راح البطل يضفي نوعا من ذاتيته على عذارى ضريح الولي الصالح، وهي نظرة استغلالية الرجل للمرأة، لجهلها. "بل كان مقصدها الأول إثارة الكوامن النفسية ومحاولة تحريك مخيلة القارئ ورصد السلوكات السلبية جدا حتى داخل "أنا" وفي عمق وعينا، لتحدث المفارقة والانتقضة"¹ ذلك ما يصوره هذا المقطع لهشاشة المجتمع المبني على تفكك الأسر كما أنه يظهر عدم احترام تانتس للأماكن المقدسة.

إذا فالإغراء الأنثوي موجود، والمرأة رمز ووسيلته، حتى ولو كان ذلك في الأماكن المقدسة، مما يؤكد ارتباط المقدس بالمدنس احتقارا وتكبيرا وتجاوزا. كما يعرج على ظاهرة غريبة أخرى هي السرقة في تلك الأماكن ذات المسحة القدسية، وعلى الرغم من ذلك تمارس فيها ظاهرة السرقة، تلك الظاهرة التي تجليها الفقرة القائلة: "البطل يتحدث عن سرقة الشمع من الزاوية... لا ينسى التزود بشمعة حمراء سميئة"²، وفي هذا المقام يشير إلى الملفوظ المعجمي للتزود/محاربة الجهل بالجهل. السمنة/الطمع والاعتناء الفاحش، والمرأة الحسنة التي جاءت للتبرك. حمراء/رمز للهيجان والتمرد على العادات.

لقد تنوعت دلالات صفة البدانة لدى الروائي في أعماله الروائية³ فالسمين، والسمينة والربيل، والبدين والثخين، صفة واحدة لأكثر من مدلول، إذ يعبر بها عن الغباء والطمع، والجمال والعملية الجنسية. وفي كثير من الأحيان للسخرية "بابا سميئة وكال الطمنية، يا بوطي "Budat Abbot"⁴ حتى أن التاريخ جعله يدخل "بين جسمه السمين الربيل الحادر"⁵ فالسمنة إذن هي رمز القبح والجمال عند الروائي.

¹ د. بشير بوجدر محمد: مجلة الكاتب الجزائري - المصدر السابق - ص 194.

² رواية التفكك: ص 7.

³ أنظر: رواية رشيد بوجدر، معركة الزقاق - ليليات امرأة آرق - التفكك.

⁴ رشيد بوجدر: معركة الزقاق - المؤسسة الوطنية للكتاب - ص 123.

⁵ المصدر نفسه، ص 22.

يلاحظ القارئ من خلال نص التفكك أن البطل يعاني أعراضا نفسية كثفتها وساعدت على ترسيخها على فقدته لزوجته من جهة، ووفائه لزوجته التي قتلت هي وبناتها في أحداث الثامن ماي خمسة وأربعين وبقاؤه طول حياته أعزب من جهة أخرى. ذلك ما جعله يعيش نقصا بيولوجيا يدفعه إلى إشباع غريزته. وبين الوفاء على العهد، وتلبية الحاجة، عاش البطل يعاني شذوذا جنسيا، وكلما شده عامل الإشباع بعد تذكر الزوجة أو مرور امرأة تذكره بها، إلا وتوجه إلى ضريح سيدي عبد الرحمن الذي تؤمه النسوة، فيراقب حركاتهن وسكناتهن، وتتفاعل تقاسيم وجهه مع ابتسامتهن وقهقهتهن، دون أن يحسهن بوجوده، ولدى انصرافهن يسرق شمعة حمراء سميكة من الشموع التي وضعتها النسوة لنيل البركة من الولي، فيتحسس الشمعة وكأنه يتلمس اليد التي وضعتها، ليعود إلى البيت القصدير وهو يحمل صورة أجمل امرأة تردت على الولي في ذهنه، متكأ على مرجعية " أن كل أنسان يمتلك صورة ذهنية واحدة فريدة من نوعها تلعب دور الهاجس المحرك لكل حياته"¹، ثم يغرس الشمعة في ثقب توسطت هي الأخرى بيته، ويتعاطى شذوذه الجنسي، عن طريق العادة السرية ليفرغ جزءا من طاقته الليبيدية، ليتجلى كل ذلك في الصورة التي توحى بها الجملة التالية:"وقد ذهب المولى يرتل طلاسمة على جبين أحد الأطفال المشلولين"². وفي ظل ذلك فإن "النص يحتل فضاء متميزا ضمن الرؤية الإبداعية والجمالية لمفهومى التاريخ والوعي بالأنا وفق انهماكات متعة اللذة بالنص إبداعا وقراءة"³ ما جعل القرئ ربط وعيه الآني بمفهوم التاريخ لتسلسل أحداث "التفكك" حين يطلع على جانب من جوانب ماضي الأمة، ويدرك الرموز الموظفة في النص مثل قوله: المولى/رمز الشعوذة/الواقف في وجه التحرر. الأطفال/الشعب القاصر، الوجه من طرف الغير. المشلولين/المقيدين، المغاوبين على أمرهم.

يبدو لي من خلال ذلك بأن ما ذهب إليه النص في تصويره جانبا من جوانب بعض أعضاء الجمعية الذين جعلوا وسط مجتمع جاهل وسيلة لقضاء مآربهم، إنما أراد من خلاله أن يرمز إلى حلول الشعوذة والدجل محل العلم والمعرفة. كما يحيل القارئ إلى ظاهرة الشلل المرتبطة بتدهور المعيشة ونقص

¹ رشيد بوجدر: معركة الزقاق-المصدر السابق- ص45.

² رواية التفكك:ص7.

³ أ.د. بشير بوجيرة محمد:مجلة الكاتب الجزائري-المصدر السابق- ص188.

الفيتامينات المسؤولة عن محاربة ظاهرة الشلل. هذا الشلل الذي طال الأفراد والجماعات لم يسلم منه حتى الساسة ورجال الاقتصاد ورجال الدين. ذلك ما نقرأه في الفقرة التالية: "إذا ما راح المطر ينكح الأرض"¹. إذ إن مصطلح ينكح يحيل على الجنس/ التسلط/ الاغتصاب/ الظلم/ القوة.

نلاحظ جليا، إسقاط الحمولة الجنسية في علاقة المطر بالأرض مما يعكس رؤية الرجل الجزائري للظواهر من منظار نفسي يؤكد سلطوية النزعة الذكورية واعتزازها على النزعة الأنثوية وانهازاميتها. وعلى الرغم من تواجد هذه النظرة فإن "الطاهر الغمري يتوقع على ذاته وينطح السماء برأسه كأنه عصاه البيضاء"². ويبقى بذلك يعاني عقدة النقص ويظهر التكبر هنا في /ينطح، والصراعات المتعاقبة والمشاكل والضيق في /دوامه. كل هذا تشعب وتعدد وتداخل/متشعبة.

وهو حين تراوده الهواجس وهو في بيته، وتعود به إلى الوراثة وتظهر -على الشاشة الشهباء التي تحركها ذاكرته أما عينيه-³ سيارة عسكرية، فإن صراعه النفسي يجعله يتوقع على ذاته، ويحاول في الوقت نفسه التسامي عن أحداث الماضي، فيتسامى ويبلغ به الأمر إلى حد التكبر والاعتزاز والاتكالية. إلا أن هذه الاتكالية تظهر الجانب السلبي المحبط لديه، والمتمثل في عزلته ونبذ المجتمع، وذلك عكس السلوك الذي يلجأ إليه الأعمى طلبا لمساعدة الآخرين له بمجرد إبراز العصا السحرية البيضاء.

ولعله أراد بهذا السلوك لفت الانتباه، بالإضافة إلى البحث عن مكانة لنفسه بين ذوي الحقوق الذين يرون أنفسهم فوق الناس بالانعزال عنهم تكبرا، أو تأففا، أو إنكارا. بمجرد إخراج بطاقة الاستحقاق ينال ما لم ينله الآخرون وبسهولة، وهو إنكارا يفسح "المجال للقارئ للدلاء بآرائه في الوقائع المسرودة وتأويلها حسب قناعته، وذلك كي يسهم في تفعيل دور المخيل وبناء أفق توقع فعال لدى القارئ لينتج النص بواسطة كل متعته ولذته"⁴ وهو يتعقب أحداث البطل الذي أظهر نوعا من اللأمن الفكري، كونه أحس بإحباط عقب إخفائه في بسط أفكاره الأخلاقية والاقتصادية، والسياسية، وها هو مرة أخرى ينتقد السياسة

¹ رواية التفكك: ص 8 .

² المصدر نفسه، ص9.

³ المصدر السابق

⁴ د.بشير بوجيرة محمد:مجلة الكاتب الجزائري- المصدر السابق-ص 204 .

الاقتصادية للبلاد في قوله: "...والميناء من جهة أخرى بوزره وسلعه وعلبة المهربة وجماركه التي اشتهرت بتأسيس الرشوة على قاعدة علمية"¹.

إن البطل من خلال هذا النص إنما أراد أن يقوم بعملية تفريغ المستويات اللغوية للبوح السردى في قوله: المهربة/المنع، النصب، الاحتيال. جمارك/السلطة، الرقابة، التعسف، الرشوة/الانحلال، الفساد الإداري.

يحيل هذا المقطع السردى القارئ إلى البوح برمز الفساد الإداري المتسلط، كما هو رمز كساد تجاري، وعامل من عوامل المنافسة غير المشروعة وهو رمز أيضا لكون حماة حدود البلاد -جمارك- حراميتها أي لصوصها. وهذه خيانة اقتصادية لحقوق الشعب ومن ثم الأمة كاملة. ومن ذلك فإن صراع البطل السياسي والاقتصادي والأخلاقي يتجدد. ما يجعله يرتد إلى الوازع الأخلاقي أيام الجوع والعوز "منذ أن كان مدرس قرآن وفلاحا فقيرا في دوار العشبة والحشرات (الناموس والقمل والذباب والبق والنمل والصئبان إلخ...) والخزعلات (إنها لا تحصى)"². ويتبين دلالات المقطع الكامنة في أن العشبة ترمز إلى الجوع، العوز الفقر. وأن الحشرات تدل هي الأخرى على التخلف عكس التحضر.

وهو ما يعكس صورة المتدين المتخلف الفقير الذي يعيش في الكهوف والأكواخ، بين الحشرات، والأعشاب التي يقات منها، وهي رؤية سلبية لمدرس القرآن ما يعكس جهل الناس بأهمية هذا الدور العظيم لاحتقارهم إياه من الناحية الجمالية كالهندام، أو من الناحية الثقافية، لأنه غير متواصل معرفيا مع المستجدات وغياب وسيلة ذلك، وهي لغة الاستعمار.

أو لكونه يحسن إلى كتاب الله بتشريفه من حيث إثبات عكس ما أثراه في التحليل، وهو بالفعل ما حصل للطاهر الغمري مدرس القرآن، الفقير المؤمن بتعاليم دينه الذي انقلب عضوا ملحدا معتنقا الحزب الشيوعي.

¹ رواية التفكك: ص 9 .

² المصدر السابق: ص 12

ومن خلال سرديات واقع وأحداث شخصية البطل " تتشظى خلايا كينونتتها بين بقايا الأنوات/الواعية، والرافضة، المتشككة، المؤولة، المتماهية مع سيرورة الأمر الواقع"¹ وذلك ما يزيد في اغترابه واعتزاله المجتمع، إلا أنه " وفي أحد الأيام يسعى للسيطرة بكل دقة وانضباط على حواسه ولكنه سرعان ما ينسى قراره ويستغل أصغر سعة ليتذكر الدكتور فيعود الكرة ويذهب كلامه هباء أحمر قان تغشوه تعتة زرقاء تميل إلى الخضرة..."² ما ينبئ على الانتفاضة والثورة/ينقلب والتملك في زمام الأمور/السيطرة. والحنين إلى رفيق دربه في الحزب/الدكتور "كينون". وطغيان الفكر الشيوعي على ما عداها من الأفكار/الأحمر كالأخضر/جمعية العلماء، والتوق إلى اللون الأزرق الممثل للأمل.

يحاول البطل في هذا المقام الخروج من وضعه كمدرس قرآن فقير، الذي رأى فيه انحطاطا اجتماعيا، كما يحاول التمرد على دينه وتقاليدته بإقناع نفسه بشرعية الثورة ووجوبها على الوضع الذي يعيشه، فيتحين أول فرصة تذكره بالدكتور الأجنبي كينون ويسترجع - عبر عملية الارتداد- تعاليم الحزب الذي كان ييئها فيه، لكنه يعجز في بداية محاولته التخلص من تدريس القرآن ، ويجد نفسه قد عاد إلى نقطة الانطلاق من دون جدوى.

وفي ذلك رؤية انعدام المسؤولية، والانسياق وراء الذات، والأهواء، وعدم الاهتمام بالثقافة السلمية للمجتمع، وأن اللجوء للدكتور هو لمجرد نفي الألم الذي يعيشه وليس على مسبباته وعمله.

هذا الانسياق جعله ينظر إلى المجتمع من الزاوية الذاتية، مظهرا ذلك في التهرب من المسؤولية وترك المبادرة إلى الآخر، فما هو يثبت ذلك في قوله: "كسرة شعير ولبن خثير. هجاها حرفا حرفا ونحتها ولم يغير إلا لونها فدهنها بما طاب له من الألوان وذلك بصفة دورية مرة كل يوم أو مرة كل أسبوع، ومرة كل شهر (أحمر قان ك..) يصمت. أو مرة كل عام ليضمني ظلمهم"² وهو تعبير صادر عن ذات متألمة من خلال "فضاء أدبي ليتشكل من كل ذلك الفضاء المتخيل المنتج للانبهار والقلق، المكملين بالمتعة واللذة"³ في صراع مع شظف العيش/كسرة. والسعي إلى الاكتفاء الذاتي من خلال الفناعة بكسرة/شعير ولبن/الفطرة والبساطة. والنص في ذلك يرمز إلى العمل المداوم والواضب/بدورية. دون إهمال اللون الأحمر

¹ أ.د. بشير بويجرة محمد: مجلة الكاتب الجزائري المصدر السابق - ص 192 .

² رواية التفكك ص 17 .

³ أ.د. بشير بويجرة محمد: مجلة الكاتب الجزائري - المصدر السابق - ص 189.

أو تناسيه/ التعاليم الشيوعية، بل ويتمنى أن يلحق برفاق دربه في الحزب وبنفس الطريقة التي ماتوا عليها.

لعل أولى الإنجازات في هذا المجال إسقاط إلزامية الثبات على لون واحد¹ ذلك ما يريد السارد البوح به في كل أعماله. فاللون الأحمر رمز للحزب في "التفكك" واللون الأصفر، والوردي، والأحمر كلها ألوان الرافعة في "معركة الرقاق"² وهي رمز للحضارة الغربية. "واحسب أن بعضاً من تلك العناصر قد تبلورت في إرادة بث الخلطة والاهتزاز والقلق"³ في نفسية البطل من جهة ومن جهة واقع المجتمع الاقتصادي إذ إنه كلما زار الميناء تألم من تخطيط المشرفين على سياسة البلاد. في الاعتماد على الاستيراد الكلي لما هو ضروري، وما هو كمالي، وحين يتجول في شوارع المدينة يجد البضاعة المعروضة على اختلافها مستوردة، وحتى لما يشده الحنين في بيته التصديري إلى تحضير الشاي فيحضرها وهو يشرب ويتأمل يجد الكأس قد كتب عليها "صنع اسبانيا" فيشتد به الصراع ويفضل كما قال: "كسرة شعير ولبن خثير"⁴. وهو رمز للاقتناع بشطف العيش، والاكتفاء بالقليل من الأساسي في معيشة الإنسان أحسن من تحكم الغرب عبر بضائعه في بطوننا. أضف إلى ذلك فإن القول يحمل دلالة معاناة الفلاح، أو ابن البادية، وحرمانه من ملذات المدينة المعاصرة.

لكن لا يتوقف إحباط البطل جراء الوضع الذي يعيشه بعد الثورة عند هذا الحد، بل يتعداه إلى إلحاحه في الدعاء الذي نقش عباراته على طاولة بيته وهجاء حرفا حرفا، وغير طلاءه باستمرار (ليضمني ظلمهم) وهو تعبير عن نفسية اليأس، المهزوم، الذي يتمنى الرحيل ولو كان سلبيا وأدرك أن باطن الأرض خير له من ظهرها، لأن المبادئ التي دفعت به ورفاقه إلى طرد الاستعمار لم تتحقق، وظل يحسد رفقائه الذين ماتوا كلهم خير ميتة، ماتوا في الثورة، ويتمنى أن يلحق بهم وعلى الطريقة نفسها.

¹ المصدر السابق، ص 204 .

² أنظر: رشيد بوجدر، معركة الرقاق.

³ أ.د. بشير بويجرة محمد: مجلة الكاتب الجزائري-المصدر السابق- ص 198 .

⁴ رواية التفكك ص 17 .

ذلك ما يجعله يحن إلى سالمة ويفر إليها علها تخفف من معاناته "وتخرج سالمة من عملها ذات يوم سائمة ضجرة كافرة (وهل تكفر المرأة؟ قال لها ذات يوم لم أسمع أُمي تكفر أو تجلجل أو ترفع صوتها أو تنتفس الصعداء أو تنتهد فهل تكفر المرأة؟)"¹. فتتعمق هوة الصراع الداخلي لما يجد التمرد والكفر والاحاد ماثلا في سالمة من خلال مصطلح/كافر، ويربط بينها وبين نساء الماضي العفيفات في/تنتهد، وهو رمز العفة والحياء، وتمرد المرأة على القيم وعلى الدين والتقاليد والعرف، وعلى الأسلاف ومجاراة الرجل الذي عكسه سلوك سالمة، أزمة من وضعية البطل وهي باسترجالها تظهر التمرد. ذلك ما يوضح سلبية التحرر عند كثير من النساء. ومحاربة النزعة الدينية من الزاوية الشيوعية، التي لا تعترف بالدين لكونها نظاما إلحاديا.

لم تكتف سالمة بذلك كله، بل تحاوره وتظهر تبجحها وتعيب تمسكه بماضيه فتقول: "وأنت صورة نسخة طبق الأصل عن الإنسان العربي... تخاف من الأسلاف وتتفاخر بهم. الأسلاف يبهرونك ويقززونك... وتريد أن يحفظك ظلمهم.."²، لأنه في نظرها يظهر الولاء والتعصب للأسلاف، والخوف والطاعة العمياء/ببهرونك، والشعور بالنقص أمامهم/يقززونك. وتلتقي دلالات هذا الصراع في الإيديولوجي الرافضة للصمت، والخاضعة للزيف والنفاق، بالمعتقد السائد منذ الأزل عند البطل. ذلك في الوقت الذي تتأزم فيه "نظرتة إلى الواقع... حين نجده يجمع بين الماضي والحاضر قصد المفاضلة بينهما"³ ما جعل سالمة المتحررة المتمردة على أسلافها " والتي كانت (هي الأخرى) تعاني الانعزال الروحي والمادي عن مجتمعا وحضارتها وبالتالي كانت عاجزة عن التكيف مع المحيط الذي تتحرك فيه"⁴ تنظر إلى البطل يعاني مرضا نفسيا، كونه لم يستطع التحرر من التبعية لأسلافه والانعتاق عن ماضيه، فهو يعاني عقدة نقص في نظرها، إذ بهؤلاء ينعم بالأمان وبدونهم يحس بالضياع.

كما أن ذلك يعبر عن رؤية العربي النفعية، والمتناقضة في العلاقات الاجتماعية، وأن البطل يشكو مركب نقص في رؤيته الآخرين من الجانب النفعي.

1 رواية التفكك، ص 17 .

2 المصدر نفسه، ص 22 .

3 أ.د. بشير بويجرة محمد:بنية الشخصية في الرواية الجزائرية- منشورات دار الأديب-ط2، 2006، ص43 .

4 المصدر السابق ص 132.

لكن سرعان ما تدرك سالمة طبيعة صراع البطل "فقد تغيرت (سالمة) منذ أن دخلت كوخه القصديري"¹. واطلعت على وضعه المنهار/كوخه، كما أنها كشفت ما كان مستورا، فانبهرت /تغيرت، ولم يكن ليتأتملها ذلك لولا فضولها.

استطاعت بذلك -سالمة- هذه الشخصية التي تنتمي إلى الطبقة البرجوازية الصغيرة والتي أعطاها الروائي "بعدا إنسانيا واعيا وجوانب ثقافية عالية"² بفضولها أن تكشف المستور، والمتمثل في الحالة المزرية التي يعيشها البطل داخل كوخ قصديري، ويعبر هذا عن دهشتها وانبهارها لهول المشهد الذي لا يليق حتى بتربية الحيوانات، والزمن زمن حرية، والبطل يتردد المستعمر، كما يعبر في نفس الوقت عن الانهيار الاجتماعي للقيم في تردي قيمة الإنسان الجزائري من حيث سكناه، وذلك من بين الأسباب التي جعلت سالمة تتجذب إلى الطاهر كما اجتذب هو لها، وكمل بذلك كل طرف الطرف الآخر. وهو يعبر لها عن معناته فيقول: "بنيتي، بنيتي هل يستقيم الظل والعود أعوج؟"³ وباطمئنان كل منهما للآخر "يظفو ذلك الوعي بالذات على بقية الاختيارات والنوازح ليقمص معالم ووقائع تجاوزت، في تجلياتها وخصوصيتها غيرها"⁴ ذلك ما عكسته الدلالة المعجمية للظل/المجتمع، العود/القائد المسؤول، أعوج/فاسد غير صالح. وهي في مجملها رمز إسقاط المسؤولية على الآخرين وعدم تحملها ذاتيا كما تبرز التنصل من التبعات. وهذا ما يجلي روح الاستعلاء والتطاؤل على الحق العام، "قالمدينة كالربع الخالي بعد الثامنة ليلا"⁵ ذلك ما يدل على غياب الحس المدني وحلول المرجعية الريفية الإقطاعية بتعطيل مصالح الآخرين وتقديم المنفعة الشخصية وهذه روح النزعة البراغماتية.

ثم يشير النص إلى مرجعية التسلط الأبوي حين يتحدث الروائي على لسان شخصية سالمة قائلا "...ما عدا في الساعات التي يقضيها أبوها في الدار فقد كانت تخافه وتهابه. وهو لا يعبأ بها ويقول

¹ رواية التفكك ص 29 .

² أ.د. بشير بويجرة محمد: بنية الشخصية الجزائرية - المصدر السابق - ص 192 .

³ المصدر السابق .

⁴ أ.د. بشير بويجرة محمد: مجلة الكاتب الجزائري - المصدر السابق - ص 190 .

⁵ المصدر السابق.

ساعة يغضب " استمعي يا طفشة" الأب لا يجب"¹ وعلى رغم من إظهارها التمرد ألا أنها كسائر البشر تحرك غريزة الخوف كيائها فالخوف يدل على السلطة، والقمع، كما أنها تدرك على أنها مكروهة من طرف أبيها وما لقبها (الطفشة) إلا دليل على كره إنجاب خاصة ومحاولة التخلص منها. وهو يههص/الدالة على القنوط. واليأس واللجوء إلى الدعاء لها بل عليها، ذلك ما بينه هذا المقطع حين عكس إسقاط البطل مرجعية الذكورية العربية المتخلفة لوالد سالمة للمرأة وغياب التواصل الأسري، وازدواجية المظرة الأبوية اجتماعيا، فهو في الخارج لبق مع النساء والبنات مسامح خدوم، ومع الأهل وبناته هو رمز إرهاب وقمع سلطوي. لأنها كما تضيف سالمة قائلة: "كنا نخاف أبي وهو يتلذذ بخوفنا"²، وفي التلذذ ما يوحي بالعقدة السادية والتي تظهر في النزعة المخاوية في تعذيب الآخرين، وتعذيب الأهل خاصة. إذ إنه رؤوف بالغير رحيم/ظالم متسلط لأهله يتلذذ بممارسة تسلط الجالب للراحة والاتزان النفسي.

وحين يأتي دور البطل في التعبير عن أحاسيسه لسالمة يلتفت مرة أخرى إلى رمز هويته إلى الصورة التي ظل يحملها في جيبه فيتحدث عنه "...حتى أن بعض الوجوه المتلاقطة ظهرت وكأنها تحمل شجبا أو ندبا (يتحدث عن الندابات المحترفات اللواتي يندبن خدودهن)"³، فيشير إلى رمز الانكسار والنفور بلفظ شجبا، بينما يرمز إلى النفاق بلفظ الندابات.

ولعل مجرد ظهور هذه الوجوه على الصورة الشمسية يولد لدى البطل نفورا داخليا وصراعا اجتماعيا /أسريا وهو يعرف أن الأهل لا يكون ميتهم، إلا القليل لعوامل كثيرة منها صدمة الموت التي تشل العقول، وتبقي من أصابته مصيبة الموت مذهولا ولو لبرهة من الوقت، أو انشغاله بمن جاؤوا لتقديم واجب التعزية، وفوق كل ذلك تصبر من حل بهم يوم الكريهة (المصيبة). والندابات المحترفات رمز النفاق الاجتماعي وتقديم المصلحة المادية على مآسي الناس.

يتذكر البطل أسئلة الدكتور (كينون) له ومنه "كيف حال وردتك اليوم؟"⁴ يسأله حال رثتيه وهو الذي كان يعالجه من داء السل وهو ما يرمز له للنظرة النفعية الخاصة، الحميمية والسريعة التلف.

¹ المصدر نفسه ص 31 .

² المصدر نفسه ص 34 .

³ المصدر السابق ص 36 .

⁴ المصدر نفسه ص 40 .

ولم تحاوره سالمة في المال العام للدولة وهي تستغزه لتخرج ما بداخله من كبت حمله طيلة عقود، وتوجه له السؤال وتريد منه الإجابة المنفصلة التي يعبر من خلالها دون تصنع، وتبادره قائلة "تقول إنني أسرق الدولة..أبدا وكيف؟ إنما أوزع أموال الناس على الناس¹. ففي هذا المقطع يتبين للقارئ فكر الملك المشاع في مصطلح أوزع، ويستبيح بذلك سرقة الأملاك العامة وهو يبرر تبرير الخيانة بأفكار وإيديولوجية نفعية مستوردة، وازدواجية معايير التقييم والولاء.

أصبح البطل لا يميز بين الحلال والحرام حين ابتعد عن معتقده الديني الذي تعلمه وعلمه، وارتقى في أحضان النفاق والسرقة والكذب والخيانة وهو يعترف بذلك قائلاً:"دخلت في حوض الماء الآسن حيث أسبح وأكفر. أصبح الكذب يعمنا كلنا ويشملنا كلنا! لم تكونوا في الطليعة آنذاك."². وهو بذلك يشير بمدلول - الحوض/ إلى الحزب، والجماعة الواحد. أسبح/الافتداء، والولاء والطاعة. -أكفر/ اعتناق، تعاليم الحزب. -الكذب/الخداع والنفاق. -الطليعة/القيادة إدارة المسؤولية.

يحاول الطاهر في هذا المقطع إبراز سلبية القيم التي تسير حركية الحزب الشيوعي، والدخول في اللعبة المفروضة على القاعدة. وإضهار كثرة الفساد المنتشر.

ثم يعود البطل مرة أخرى إلى إظهار صراعه النفسي فهو لم يستطع مجازاة نفاق بعض أعضاء الجمعية، والذين اتهموه بالإلحاد حين صرخ في وجوههم بكلمة حق مدافع عن الفقراء، "الأرض لمن يخدمها" وارتقى في أحضان الحزب الشيوعي الذي يجد نفسه معترفاً أنه فرض عليه الافتداء بتعاليمه الكافرة، الكاذبة. وهي كلها حقول تعرف على تنشئة البطل القبلية لأن "الحقول التاريخية يمكنها أن توفر لنا ما قد لا يوفر لنا الحاضر"³ وبذلك استطاعت سالمة معرفة جانباً من تاريخ الطاهر الغمري.

وتبالغ سالمة في مرات عديدة في معاملته للبطل سعياً منها لرفع الكلفة بينهما "أضرب خمسة!"⁴ وهي تظهر تجاوباً منقطع النظير مع البطل وفي ذلك رمز الاتحاد والقبول والكسب. واستطاعت بعملها هذا اكتسابه لصفها، وإخراجه من عزلته. كما أن ذلك يحمل دلالة اقتصادية تثبت النفع المشترك بين الضاربين أخماسهم.

¹ المصدر نفسه ص 43 .

² المصدر نفسه ص 44 .

³ أ.د. بشير بويجرة محمد:مجلة الكاتب الجزائري-المصدر السابق- ص 189 .

⁴ رواية التفكك ص 45 .

معاملة سالمة للطاهر جعلته يحن إلى الرفاق ويتذكر بوعلي اللحام وهو يقول: "إن الحديد بالحديد يفلح"¹. وهو يدرك مغزى حديثه الذي يرمز فيه صاحبه للحديد/ القوة، ويفلح/ النجاح والفلاح، وذلك ما يعكسه البعد النفسي في حتمية مقابلة القوة بالقوة والجزاء من جنس العمل. وللعمل رده مساو له في القوة مخالف له في الاتجاه. وهو رمز تبادل الأدوار والمنافع.

وهو ما أراده لكل محتل عسكري كان أم مدني معمر زيتنكر ذلك المعمر الذي وصفه بالقول: "كان الجار شيخا فرنسيا عجوزا فات التسعين... يضرب الكلب (كلبه) ويشتمه ويقول: "أنت عربي حقير! عربي قدر!"² هذا الفرنسي الذي يحمل كل صفات الدناءة والكراهية والبغض اتجاه العرب الجزائريين لا يجد بدا لصب جام غضبه إلا من خلال كلبه، ويدل النص على المكر والخداع والنفاق/عجوز. وعلى العنصرية/حقير وبذلك تتجلى رؤية العربي من الزاوية العنصرية وهي نظرة عرقية تقوم على النظرة اللاندماجية كما هي رمز رؤية الأقلية للأغلبية. وهو صراع نفسي استطاع البطل التخلص منه بقوة السلاح، ثم يسترسل مرة أخرى في الحديث عن الرفاق فيقول: "يوعي من أنصار جمعية العلماء ثم مناقض يتابع قراءته لكتب يستعيرها من الألماني"³. ذلك ما أضفى على "التفكك" دلالات ورموز نفسية، تسعى إلى إثبات الذات الواعية، فالنصرة/رمز للمساعدة والمساعدة، والنضال/التضحية والفداء. أما الكتب المستعارة/الفكر والتوجيهات.

وفي هذا المقطع تتجلى محاكمة الجمعية بالتخلف ما جعل أنصارها يفرون منها فرادى وزرقات ومنهم البطل وبعض رفقاءه كبوعلي طالب والألماني، إلى الحزب الشيوعي والذي كان فيه الألماني وسيلة مد الجسور بين الطاهر وإيديولوجية الإلحاد. وتحديد مساعداته أو مرجعيته من الغرب النازي المعادي لغير اللاربيين. وفي نفس الوقت يبرر عدم فهم الجمعية سياسيا لما يدور في المجتمع في تعاطيه مسألة الاستقلال. حيث يقول البطل: "أرسلني الحزب لأقوم بعمل سياسي بين الفلاحين الفقراء... إنه يعيش في عالم الأوهام. توعية جماهير الفقراء..."⁴ ويظفو مرة أخرى الوعي بالذات على بقية النوازع في دلالات المعجم الموظف أرسلني/التكليف، في انتظار التنفيذ. الأوهام/رفض الوعي. التوعية/العمليات التحسيسية

¹ المصدر السابق ص 47 .

² المصدر نفسه ص 49 .

³ المصدر نفسه ص 58 .

⁴ المصدر نفسه ص 58 .

التي أنيطت بالبطل. وذلك ما ينبئ عن محاربة القيم الشيوعية التي تدعي نشرها الوعي. وعدم اعتراف الآخرين بدورها.

وفي خضم هذه الأحداث يرتد إلى الماضي من خلال: "الصورة الملعونة الرثة البالية المجروحة المقروضة"¹ ويسقط حمولته النفسية عاكسا ذلك عبر دلالات كلها تدل على نغمه على الماضي. الملعونة/المحكوم عليها بالشقاء. المجروحة/المتعرضة لمصائب الدهر، ذلك ما ينم عن محاكمة الماضي أو الذات بشتى النعوت.

إن ما يمكن استخلاصه يتمثل في محاولة دمج "الوعي بالوقائع التاريخية مع الوعي بالآنية، وقائع وانهمارات غرائزية، بغية تشكيل وعي معرفي قد لا ينحصر ضرورة في الفكر والمنطق، بل قد ينزاح الكثير منه جهة الوعي الجمالي/المتعة، متعة السرد/البوح. ومتعة التلقي/القراءة"². هذا الوعي جعله يدرك عملية ترويض الحاكم للمحكوم "بل ما هي الطريقة العملية لصيانة نسل البق"³ لأن الطريقة توحى/التحكم والتسيير والهيمنة، أم البق/الشعب الفقير. وبذلك يكون هذا المقطع قد عكس الرؤية الاستغلالية العرقية للأخريين المقصودين بالبق. وهو رمز النفعية من ذوي الجاه والطبقة الراقية الذين يمصون دماء الفقراء. ويدفعه ذلك إلى عقد مقارنة بين النحو والجنس وهو الإشكال الذي أوقعته فيه سالمة لم تتمكن بعد من إبراز العلاقة الموجودة بين النمو والجنس"⁴ وهي ترمي إلى النحو/النهج السياسي. الجنس/التكاثر. وفي هذا المقطع نقد لسياسة الدولة في البرمجة والتخطيط للتحكم في النمو السكاني، وكيفية التحكم في النزوح الريفي ونقص الوعي الاقتصادي والصحي وانعكاساتها على الحياة العامة، بالإضافة إلى أن مجرد تفكير الرعية في الجنس، كفيل يجعلها تغفل المنحى الذي ينتهجه ساسة البلاد. وهو ما عكسه البعد الدلالي لهذا المقطع الذي يمثل فكر البطل/ الروائي وتمرده على السلطة وعلى نهجها ليحول بذلك الجنس الغريزي السيكولوجي إلى جنس قمعي إيديولوجي.

¹ المصدر السابق.

² أ.د. بشير بويجرة محمد: مجلة الكاتب الجزائري-المصدر السابق-ص 189 .

³ رواية التفكك ص 59 .

⁴ المصدر نفسه.

ثم يعود البطل مرة أخرى إلى التهجم على الدين ويتحدث عن فترة تدريسه للقرآن "وهو؟ من أين أتق بها. قديمة. عتيقة صبغها الزمن بزنجار الأيام. يحشد فيها أقالما ينحرها بموس صغيرة حادة من القصب... مدرس قرآن...طبيعي أن يحتفظ بعاداته البالية وبتقوسه الرثة على الرغم من دخوله الحزب؟ تبقى معلم قرآن ويفوح جسديك برائحة الشحمة المعلقة على شرائط القرية على رأس الجبل...¹ وذلك ما يدل على زنجار/القدم، الصدا.الطقوس/العادت. الرثة/البالية. الحزب/الحزب الشيوعي. الشحمة/الخمول والكسل.

يشير البعد النفسي لهذا المقطع إلى الدلالة على تضحية وعذاب الشيوعيين في سبيل تحقيق أهدافهم، كما يبرز ظاهرة الاستغلال الإقطاعي للفقراء والفلاحين في حرث الأرض وعدم انتفاعهم بخيراتها، ومن ثم مجهوداتهم في سبيل خدمتها. من طرف جمعية العلماء التي يقول عنها "جمعية العلماء وطنية ممزوجة بطبقية. طبقية الفلاحين (الحتالة) وطبقتهم طبقة (الشأن)² الحتالة/الشيوعية، الفلاحون/الفقراء.الشأن/أعضاء الجمعية. وهو من خلال هذا المقطع بصدد محاكمة نخبوية الجمعية وانعزالها عن الشعب عكس الشيوعيين، المندمجين في صفوف الفقراء، والعمال والكادحين، هؤلاء الشيوعيين لم يظفروا حتى بعد مماتهم بالصلاة عليهم لأنهم شيوعيين و"أبي الأئمة الصلاة على جنازته لأنه شيوعي/الخروج عن الدين، الإلحاد.

وذلك ما يدل على رؤية الدين وموقفه من الشيوعية، ومعرفة الشيوعي للدين إلا من خلال الجنائز، زعم ذلك فإنه ينقد الدين في تمييزه بين المؤمن والملحد، وهو تناقض صارخ ، فهم يعيشون ملحدين وحين يموت أحدهم، يجبرون الأئمة الرافضين الصلاة على ميتهم، تحت التهديد، والخطف في كثير من الأحيان، فماذا تنفع ميتهم صلاة هذا الإمام؟ وماذا يفيد نقدهم الدين في تمييزه بين الناس؟ ذلك ما جعل "الأميين سقطوا في فخ المدينة"⁴، فالنص هنا يشير إلى الفلاحين والريفين/الأميين. سقطوا/انغمسوا،استحلوا،واستباحوا ويتمثل صراع البطل في هذا المقطع من خلال محاكمة انقراض قيم الريف الإيجابية ودخولهم الغربية الأخلاقية.

1 المصدر السابق ص 61 .

2 المصدر نفسه ص 64 .

3 المصدر نفسه ص 69 .

4 أ.د بشير بويجرة محمد: مجلة الكاتب الجزائري-المصدر السابق- ص 75 .

إن المتبع لقول البطل "أنا الوجد الثابت"¹. يدرك أنه يقف في وجه كل التحديات إذ إن الوجد/الأصل، المركز، الانتماء. وفي ذلك إسقاط نفسي يظهر من خلاله الاعتزاز بالانتماء والمقاومة لكل تغيير أو مسخ أخلاقي والاعتزاز أيضا بالدفاع عن الموروث الأخلاقي، وفرض الذات في مواجهة رياح التغيير العاتية والعنيفة والآتية من كل حدب وصوب وخاصة سلوك الشيوعيين في محاكاة رياح الغرب المصدرة إلى المدن أولا، ثم الريف ثانيا. كما أن الإصلاحين لم يسلموا من تقليدهم لغيرهم- مثلما جسدت أحداث الرواية-.

يعود إلى إبداء الحذر من شخصية سالمة، فهو حين يقاطعها يظن بها كل الظنون فهاهو يقول "لعلها تتجسس، لعلها تعمل مع الشرطة"². والجوسسة تدل على الخيانة الخديعة والتطفل، ثم يتحدث عن الشرطة وتدل على التسلط، الظلم، السجن، التعذيب بالإضافة إلى أنها الطبقة التي تتوسط الطبقة المهيمنة (المستعمر) والطبقة المستضعفة (المستعمرة).

وفي هذا المقطع إثارة مسألة الخيانة والشك والمدمر كيان هذه القوة. الشيء الذي أعاد البطل إلى ماضي الثورة والصراع النفسي بين الحزب والجمعية من جهة والحزب والخونة العملاء من جهة أخرى. "لم يبق إلا خط واحد متخشب آلي خط الراقنات"³، ذلك ما يدل على رمز لمحاكمة عنصر التشيؤ في مواجهة انسحاب إنسانية الإنسان وغياب الحس الجمالي الطبيعي، وانسلاخ الإنسان المعاصر عن مقاوماته وتقاليده، وتسامحه ورقته، وجعل الآلة تتحكم في مصيره.

وفي ظل كل ذلك يبقى الطاهر فاقدا لهويته ف "هويته عبارة عن صورة فقط. يحمله كدرع يصونه أو حرز يقيه من شر الناس والساسة"². فالصورة هنا تدل على هوية الاغتراب والتهميش والاحباط. وتحرره من حمل أية بطاقة تثبت هويته. دليل على عدم الانتماء للوطن وعدم فعاليته الاجتماعية، وإحساسه بالعزلة والنكوص.

يضاف إلى وضع البلاد والمصير الاقتصادي الذي تعيشه " دجاجنا عاقر وديوكنا واهنة"⁴ في إشارة البطل إلى الدجاج/الإنتاج. عاقر/العقم والعجز والانغلاق، والتفوق. الوهن/ضعف قدرة البرمجة والتخطيط.

¹ المصدر السابق.

² المصدر نفسه ص 77 .

³ المصدر نفسه.

⁴ المصدر نفسه، ص 78 .

ويصارع البطل من خلال النقد الذاتي لقدرات الجانب الاقتصادي المزري الذي جعل المشرفين على التخطيط الاقتصادي في تبعية مطلقة، حتى في استرداد بيض الدجاج ما دام المجتمع يعيش عقما إنتاجيا. لأنه كما قال: "أصبحت الدجاجة الوطنية تتناول أقراص منع الحمل ولم يبق للنساء شئ للوقاية منه"⁴. ذلك ما يبين التعمد في إحلال العقم من خلال توظيفه لكلمة الأقراص. وهو ما ينم عن نقد ذاتي للعجز عن الإنتاج ومحاكمة البطالة المقنعة وانتظار النفع الريعي وعدم المشاركة في صناعة الثورة الوطنية.

ويتسائل عن جدوى التضحية واندفاع شباب الأمس إلى الموت، وهو يرى أن لا فرق بين الأمس واليوم ويزداد غضبه حين يتذكر أن "سيد أحمد أحرق حيا"¹ ما يدل على قمة التضحية والعطاء "أحرق" ولم يحرق ميتا بل أحرق حيا وفي ذلك رمز التضحية على الحق هو مصير محتوم لكنه بأفكار إيديولوجية تخالف التعاليم الجهادية. لأنه كما قال "كان ملحدا"² والإلحاد يرمز إلى اللعنة والنفور ومحاكمة المبتدئين الإسلاميين للتفريق بين من هو متدين وغير متدين، والقصد بغير المتدين رمز تعود سالمة باستفزازها البطل مرة أخرى موبخة إياه "كان عليكم أن تأخذوا بزمام المبادرة"³ والأخذ هو رمز للسلبية. والزمّام/التمسك. وأما المبادرة/الفرصة لتظهر من حديد محاكمة السلبية وترك جني الثمار للآخرين فهو نقد ذاتي لعدم المشاركة في صناعة الانتصار سياسيا كان أم اجتماعيا... وتضيف سالمة قائلة "مائة وثلاثون عاما والمستعمر يريش لحمنا. ماذا صنعتم؟ فاتك القطار عم الطاهر"⁴ لقد أحز ذلك نفسية الطاهر وأحس بوقع الكلمات على نفسه وارتد من خلاله إلى ماضي الظلم، والسلب، والعري، وكشف العورات الذي يحمله مدلول يريش. كما أنها أشعرته بالذنب والعجز والتفريط في قولها "فاتك..." كل ذلك جعله يعيش إحباطا نفسيا، معاتبة سالمة له في تضييعه فرصة قيادة الحزب، وتنديمه في نضاله الثوري، والذي وإن كانت نتيجته الاستقلال إلا أن ذلك ناقصا من وجهة الحزب الشيوعي .

¹ المصدر السابق .

² المصدر نفسه.

³ المصدر نفسه ص 87 .

⁴ أ.د. بشير بويجرة محمد: مجلة الكاتب الجزائري-المصدر السابق-ص 94 .

يعترف الطاهر ويحاول جاهدا درء اللوم عن نفسه ورفاقه فيرد على سالمة "كان علينا أن نصنع ثورة التاريخ وأن نجعله يخضع لقوانين"¹. ويريد إثبات القوة من خلال لفظ "نصنع" وهو رمز التحكم والهيمنة، وكذا "يخضع" الدال على حمولة التوجيه والتسيير. ثم "قوانين" الموحية بالتوجيه والمعتقد. يتشجع البطل ويعترف بالتخلي عن المسؤولية وعدم اغتنام فرصة القيادة، وتطبيق النهج الذي ناضل من أجله مع قادة الحزب الشيوعي، للتخفيف من الضغط الخارجي (ضغط سالمة) والضغط الداخلي (تأنيب الضمير) ثم يسترسل في الحديث "كان هذا خطأنا بالضبط ونعترف بذلك... لكنهم ذبحوهم ونزاهتهم هي مادة خام لا تعرف المساومة ولا المماثلة ذبحوهم"² يظهر الندم والاعتراف، بيدي الحسرة في لفظ "مطأنا" كما يحاول التخفيف من حدة تأنيب الضمير من خلال عملية التبرير "ذبحوهم".

وبذلك لجأ البطل إلى التبرير والتصل من أعباء المسؤولية التي فرط فيها مع حزبه، قصد التخفيف من شدة اللوم الذي واجهته به سالمة، وكذا البحث عن توازن ذاتي داخلي يشعر من خلاله بالراحة والإطمئنان ، لكن أن له ذلك ؟ والصورة التي في جيبه تذكره بالرفاق من حين إلى آخر.

وبعد كل هذا الضغط الذي مارسه النص على شخصية البطل يحاول من حين إلى آخر التخفيف عنه وتعريف القارئ من خصوصياته "الطاهر كذلك يكتب يكتب رسائل غرامية ويسلمها لعذاري سيدي عبد الرحمن يوم الجمعة في العشية لكنهن لا يفهمنها ويخلنها حروزا سحرية.. فكان لا ينتظر ردا ولا جوابا، إنما كان يفعل هكذا نكاية في الإقطاع والشعوذة والأولياء الكاذبين"³. يبرز البطل الصراع الديني من خلال محاكمة القيم الدينية وتسليط الضوء على المستغلين للدين في تحقيق مصالح نفعية ذاتية محددة. فهن لا يفهمن/ الجهل والتخلف وحروز/ الشعوذة والشرك. الأولياء/معتقدات الشعب الدالة على التخلف والانحطاط.

ثم ينظر في حال عزبته ويتفكر في قول سالمة له "وتنظر إلى العباد من أعلى ربوتك ومن خلال عرينك"⁴ لأن في الربوة/الاستعلاء/المحور.

1 المصدر السابق 101 .

2 المصدر نفسه ص 103 .

3 المصدر نفسه ص 104 .

4 المصدر نفسه ص 108 .

كما جاءت "تثائيا الأعلى/الأسفل قانونا حكم عواطف الكاتب، ومن ثم أيضا عواطف شخصيات روايته في نظرتها إلى المكان، فالمكان الأعلى بكل ما فيه، ممجد دائما، وهو رمز الخير، وفيه ينمو الوعي الثوري، وعبره يمارس الفعل الذي يحرر الإنسان المكبل من القيود والأغلال"¹. وبذلك يكون الروائي قد أسند فعل تحرر بطل متن "التفكك" إلى شخصية سالمة.

وحتى الإعلام لم يسلم من انتقادات البطل لما فيه من دور بارز على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ويتهكم بالقول كلما اطلع على إحدى الجرائد "كما تقول الجرائد الرخوة"². في إشارة منه إلى الرخوة بالنحياز المأجورة وهذا المقطع عبارة عن محاكمة الإعلام المميع المنحاز والذي تحركه جهات في السلطة أو خارجها. وهو ما يعكس الضعف والانكسار والإعلامي، وكبت الحريات.

ثم يقارن حال المجتمع من خلال الحديث عن نفسه " وأنا أموت في هذا الوطن الملعون .. لكننا نحبه، لن نتركه"³ وهو يرمز إلى اللعنة في قوله الملعون إلى أن الوطن أثقل بالمشاكل، وسرعان ما يعبر عن حنينه لهذا الوطن كي يتمكن من إبراز وطنيته للقارئ في قوله " نحبه" والدالة على الوفاء وروحالوطنية، بل يضيف رمزا آخر يجعل القارئ يتخلص من كل لبس في صدق وطنيته في كلمة "لن نتركه" الدالة على التمسك، والدفاع عنه. يعكس البطل من خلال هذه الفقرة تمسكه بالوطن والذود عنه من خلال اعترافه بوطنيته ووطنية الفقراء والعمال الذين يموتون مرغمين داخل سجونهم/أوطانهم مقابل هروب الأغنياء وأصحاب المنافع والمصالح.

يسأم الطاهر من هذا التمييز الطبقي الذي ضحى من أجل القضاء عليه الشعب الجزائري فيدفعه ذلك الضغط إلى أن ينسب خاصية الصبر إلى الله في قوله "أن الله عيل صبره"⁴، ليعكس بذلك الظروف الصعبة التي لا يطيق الإنسان العيش فيها وذلك ركز ارتكاب المجتمع المجتمع أخطاء جساما لا تغفر والمنكررة باستمرار.

¹ أحمد حيدوش: مجلة الكاتب الجزائري-المصدر السابق- ص 225 .

² أ.د. بشير بويجرة محمد: مجلة الكاتب الجزائري-المصدر السابق- ص 120.

³ المصدر نفسه ص 121 .

⁴ المصدر نفسه ص 125 .

وبدلاً من الانتفاخ إلى تصحيح أخطاء الماضي نجد الأمة انشغلت عن حاضرها والتطاول حتى على الأموات "لم يمت فدائياً"¹، والفدائي رمز الثوري المخلص للزمن وهم عمل يرمي فيه هؤلاء إلى محاكمة الادعاء الباطل بشرف الانتماء إلى العمل الفدائي تحقيقاً لمصالح خاصة فدائي مزيف. لأنهم في نظره لم ينتابهم شعور الثوار وهم يدافعون عن قضيتهم وجهلوا معاناة أولئك الذين مانوا مهما كانت موتتهم (مذبوحين، مقاتلين، معدومين، مصقولة رؤوسهم، وشنوقين محروقين...) ² وفي ذلك ما يجعل الملفوظ اللغوي "يشكل الهوية الحقيقية لدوافع البوح السري ومبتغاه"³ وذلك ما أباح به المقطع ليفضح تنكيل المستعمر وأعدائه بالشعب وفي هذا التنكيل محاكمة التنكيل الجريمة الممارسة في حق الضحايا وهي غير مشروعة. جرائم حرب.

وينتقم البطل من هذا الوضع التردّي بل ويعبر عن سالمة وهي تربط حبل تواصل الأحداث بقوله "ناقمة سالمة وكذلك الطاهر على الخديعة.." ⁴ رأت في الخديعة رمز الغدر والتصل من الوطنية. ويتبين لها مرة أخرى أن محاكمة الخيانة هو انتصار للحق. والهزيمة أساسها الخيانة وليس الجبن وقلة العناد. والعمل الذي قام فاقتص من بعضهم وعرفت سالمة ذلك من خلال عملية التفريغ للتخفيف من شدة غضبه على هؤلاء الخونة فيقول "ذبحنا الكلاب وبعض الأئمة وبعض الفلاحين العملاء"⁵ في إشارة منه إلى الكلاب هم العملاء، الخونة وأن الأئمة هم خونة من نوع آخر خونة باسم الدين، وفي ذلك كله ما يبوح به المتن السري إلى تسليط الضوء على الخيانة باختلافها كالخيانة الدينية التي استغلها الأعداء لممارسة سلطانهم أو الفقراء المعدومين لحاجتهم الملحة للمال. فهذا سلوك غير مبرر مهما كانت طبيعة السبب.

² المصدر نفسه ص 184 .

³ المصدر نفسه ص 146 .

⁴ أ.د. بشير بويجرة محمد: مجلة الكاتب الجزائري -المصدر السابق- ص 194 .

⁵ رواية التفكك ص 147 .

⁶ المصدر نفسه ص 152 .

يزداد البطل شططا فيجد نفسه في لحظة غضب قد انقلب على عقبة وترك العنان للتعبير لا شعوريا عن نظرتة للمتدين بصفة عامة، والمستغل للدين بصفة خاصة، ويؤدي به ذلك إلى النظرة التعميمية فيقول "كانوا يقاتلون في سبيل الله ونحن نقاتل في سبيل القضية"¹ وهذا ما يعكس مرة أخرى الصراع الإيديولوجي بين الشيوعيين والإصلاحيين زمن الثورة، وهو يرمز إلى تحزب الثورة على أنها خرجت عن هدف الانطلاقة، وبذلك يعكس اختلاف زوايا النظر إلى القضايا المشتركة في الكفاح وادعاءات كل طرف في نسب فضل الانتصار لنفسه، وإلغاء هذا الفضل عن الآخرين . ثم يظهر نهجه علنا لسالمة في مسألة الدين والثورة يقوله "لهم دينهم ولنا ديننا والعدو واحد"² حتى ولو أنه يرمز من خلال هذا الجزء إلى وحدة الهدف رغم اختلاف الاتجاهات. فهو يشير إلى سنة الحياة المبنية على أبدية الاختلاف وتواصله للدلالة على اختلاف المصالح لاختلاف المرجعيات الثقافية والبواعث.

1 المصدر السابق 153 .

2 المصدر نفسه 154 .

الكتابة

إن المتتبع لمنهج التحليل النفسي هو هو يقترب من الظاهرة الأدبية، يرى قدرته على الإجابة عن كثير من الأسئلة التي تناولت عملية الإبداع الأدبي من حيث الدوافع والآثار.

ومما توصل إليه البحث هو الوقوف على جوانب من الحتمية البيولوجية والاجتماعية، اللتين كما لهما الأثر الكبير في تحرير عملية الإبداع الروائي من خلال بعض النماذج المثارة في الدراسة. ذلك أن علاقة علم النفس بالأدب لم يكتب لها النجاح إلا من خلال تطبيقات مدرسة التحليل النفسي، وما قام به منظر وعلم النفس والفلسفة، والنقاد ما هو سوى إرهاصات أولية في هذا الشأن .

وما أثارته هذه الدراسة هو أن اللاشعور خزان ومموم عماليات الإبداع عموما، وأن محاولة التعرف على هذا الخزان هو التقرب من معرفة شخصية الروائي كمفتاح جمالي لقراءة أي أثر. فكثيرا ما ارتبطت شخصية الروائي بشخصيات شخوصه الروائيين لميله -مثلا - إلى الإجرام، فكان لأبطاله هذا الدور. وأن هذه المدرسة أرست آليات المراقبة والتجسس الفني على تحرك ذات الروائي في شخوص عمله الروائي.

وأثناء تقربنا من بنية الشخصية والأحداث في رواية التفكك نجد أن شخصية البطل تعيش حالة الارتداد إلى الماضي وصراع الحاضر، وتنقلها من النقيض إلى كبينة تتحكم في سيرورة الشخصية.

هذه السيرورة استطاعت تجسيد معطيات الواقع المتداخلة، وفي بعديها النفسي والاجتماعي التي واكبت نقد المجتمع، وهو في مرحلة التفكك الذاتي في كل المستويات، ما أزمت مفهوم الشخصية بانغلاقه وكتبته وتعقيده. لتصل في النهاية إلى أن رواية "التفكك" مركب نفسي هرب من خلاله الروائي من عالم اللاقول واللامساس إلى مساحة مرفوعة عنها كل الممنوعات في خطاب روائي يتلمس خطاه عبر انقسام الهوية، والاعتراب، والتمرد لقيود ثورة القيم، وثورة الأنا المتعالي على الهو ممثلا في التقاليد. وقد حكم هذا المسار الروائي بوجدة جانبان جانب فني/نفسى كوسيلة اكتشاف عوالم النفس وتجلياتها في السلوك، وجانب أخلاقي يتجاوز ذاته اجتماعيا قابل للمناقشة والمساءلة.

عند تناول مشهد الرواية الاحتقالي معجما تبين لي صناعة الأنساق الدلالية المختلفة وقيادتها فنيا تترجم قدرة الهوية النفسية عبور عتبة التفريغ اللغوي الذي راح تجليا للضغط النفسي متجليا في الصيغة الاجتماعية لمواقف الشخصيات لنقف على قوانين تسير قصودها الدلالية. وتتمثل في قانون الكبت الإرادي كمعيار داخلي ومؤشر لدرجة الصراع النفسي، وقانون التفريغ الإرادي كمعيار خارجي متجليا في مسوح الشخصية الاجتماعية.

وعليه فإنني أحسب أن نص "التفكك" هو نتاج فني يمثل قانون الكبت اللاإرادي حين تسيد الكاتب نصد، وتموقعه فيه لنقل مكنونات النفس من خلال التجلي الاجتماعي. وما التجلي الاجتماعي سوى قراءة زائفة سرابية لغير المتجلي أو الممتنع عن الظهور الذي لم تقله الرواية. وليس في تناول أي مص إبداعي مقدم على أنه وثيقة البراءة النفسية من خلال المرض العصابي أو الذهاني الحاد.

وفي الختام تبقى رواية "التفكك" هي جمالي لمكونات اللغة كشكل وكمظهر اجتماعي موح غير دال، وتفكك جمالي لمكونات الشخصية كاختباء نفسي دال غير موح لتنتصر الازدواجية المتقابلة كقراءة افتراضية وتربصت بالرواية من ضعفها/ ابتداء، إلى قوتها/إبداعا وإنتاجا، إلى شيخوختها/تلقيا، ذلك التلقي الذي استطاع أن يرسم ملامح نفسية/اجتماعية/سياسية/أخلاقية للمشهد الاجتماعي الجزائري مبوثة لأمراض الذات حين لا تقوم بتجاوز الذات، وتسامي السائر نحو القبر/الموت.

إن الرواية إذن، فنيا، هي صيحة لمعاودة الحياة من زاوية أطفأ لها الروائي جميع مصابيحها، وترك شمعة النفس، وحدها، تضيء للقارئ تلمسا فتح بها على نور الجكال المختبئ في خرس اللغة. مما يجعلها بامتياز ماثلة لقراءات متعددة مستقبلا، تكمل ما قد لحق بحثنا من نقائص غير مقصودة.

المصادر والمراجع

أولا : المصادر

روايات رشيد بوجدرة:

- 1- الإنكار: ترجمة صالح القرماصي ط1 - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1984.
- 2- الرعن:- المؤسسة الوطنية للكتاب - ط1، الجزائر 1984.
- 3- الإرثة: - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1983.
- 4- الحلازون العنيد: المؤسسة الوطنية للكتاب -الجزائر 1977.
- 5- ألف وعام من الحنين:- المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1979.
- 6- ضربة جزاء:- المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1981.
- 7- التفكك: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - ط2، الجزائر 1982.
- 8- المرث:- المؤسسة الوطنية للكتاب -الجزائر 1984.
- 9- ليليات امرأة أرق:- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر 1985.
- 10- معركة الزقاق:- المؤسسة الوطنية للكتاب -الجزائر 1986.
- 11- فوضى الأشياء:- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- 1991.
- 12- ضربة جزاء: ترجمة مرزاق بقطاش، ط2، - المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر 1984.
- 13- الجنازة: ترجمة د.خليل أحمد خليل، - ANEP الفارابي - 2003.
- 14- عبد الحميد بن هدوقة:"ريح الجنوب" ط4، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1988.
- 15- الطاهر وطار: "اللاز" الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2 1980.

ثانيا: المراجع

- 16- الفارابي عبد اللطيف، وشيكر أبو ياسين -العالم الروائي عند غسان الكنفاني ط1، دار الثقافة - الدار البيضاء - 1987.
- 17- إبراهيم صحراوي:تحليل الخطاب الأدبي "دراسة تطبيقية" ط1، دار الآفاق - الجزائر 1999 .
- 18- أحمد حيدوش: الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث - ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر.
- 19- د.باساغانا:مبادئ في علم النفس الاجتماعي، نقله إلى العربية بوعبد الله غلام الله- ديوان
- 20- د.بشير بويجرة محمد: المطبوعات الجامعية - الجزائر 1983.
- 21- بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري(1970- 1986)"المؤثرات العامة في منيتي الزمن .ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع 2001/2002 .
- 22- بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970- 1986)"جماليات وإشكاليات الإبداع" ج2، دار الغرب للنشر والتوزيع .

- 23- بنية الشخصية في الرواية الجزائرية الطبعة الثانية - دار الأديب للنشر والتوزيع- الجزائر 2006.
- 24- جوليان رونز: علم النفس الإكلينيكي، ترجمة: عطية محمود هنا،مراجعة د.محمد عثمان نجاتي.ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر.
- 25- جيل دولوز-كلير بارني-:حوارات في الفلسفة والأدب والتحليل النفسي والسياسة. ترجمة: عبد الحي أرزقان- أحمد العلمي- إفريقيا الشرق- المغرب 1999.
- 26-حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي "قضايا وفنون ونصوص" ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة 2003.
- 27-طه حسين:حديث الأربعاء،المجلد الثاني،ط2-دار الكتاب اللبناني-بيروت 1974.
- 28- د.كمال أبو شهيدة: مقدمة في التحليل النفسي،ط1 - دار الفكر العربي.بيروت 1977.
- 29- ماهر حسني فهمي، المذاهب النقدية - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.
- 30- محمد حسن غانم: التحليل النفسي للأدب، دراسات نفسية في ملحمة الحرافيش لنجيب محفوظ،ط1 مركز الحضارة العربية - مصر.
- 24- محمد خلف الله:من الوجة النفسية في دراسة الأدب ونقده ط2 معهد البحوث والدراسات الأدبية . 1970
- 25-د.محمد يوسف نجم :فن القصة -دار الثقافة -لبنان.
- 26-مصطفى حجازي: الإنسان المهودر، المركز الثقافي العربي،ط1 المغرب،2005.
- 27- الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي ط2 دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع -الجزائر.
- 28- الأسس النفسية للإبداع الفني- في الشعر خاصة- ط1 وط2 دار المعارف.
- 29- دراسات نفسية في الإبداع والتلقي. ط1- الدار المصرية اللبنانية-2000.
- 30- مصطفى فاسي:دراسات في الرواية الجزائرية-دار القصة للنشر - الجزائر،1999.
- 31- مصطفى غالب: في سبيل موسوعة نفسية -مكتبة الهلال-بيروت، 1982.
- نور الدين طواليبي:**

- 32- في إشكالية المقدس -منشورات عويدات- بيروت،باريس ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر.

33- الدين والتغيرات والطقوس -منشورات عويدات- بيروت، باريس ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر .

34- الموجز في التحليل النفسي.ترجمة: سامي محمود علي وعبد السلام القفاش، راجعه:مصطفى زيور،دار المعارف مصر الطبعة الثانية-1983 .

35-محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي ط3-مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة 1962.

36- مختصر التحليل النفسي،ترجمة :جورج طرابيشي ط1-دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت 1981.

37-سمير أبو حمدان:الإبلاغية في البلاغة العربية ط1-منشورات عويدات الدولية باريس 1991.

37- سعيد يقطين:انفتاح النص الروائي،ط2- المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء- المغرب 2001.

38- ستانلي هايمن: النقد الأدبي ومداسه الحديثة،،ترجمة:د.إحسان عباس ود.محمد يوسف نجم ج1 دار الثقافة بيروت -لبنان.

38-عايدة بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري.

عباس محمود العقاد:

39-يوميات الجزء الثاني،مطابع دار المعارف مصر -1969.

40-عبقرية عمر -دار النجاح للكتاب- الجزائر،2003.

41- عبد الحميد بورايو: منطق السرد- دراسة في القصة الجزائرية الحديثة- ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر.

41- عبد الحميد طهماز : حياتنا والموعود المجهول،ط2-دار القلم-دمشق.

42- عبد اللطيف الفارابي، وشيكر أبو ياسين:-العالم الروائي عند غسان الكنفاني ط1،دار الثقافة البيضاء-1987.

43- عبد المالك مرتاض:القصة الجزائرية المعاصرة-المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر 1990.

- 44- عبد العزيز بوباكير: "الأدب الجزائري في مرآة استشراقية"-دار القصة للنشر- الجزائر 2002.
- 45- عبد الصمد زايد: مفهوم الزمن ودلالاته في الرواية العربية المعاصرة -الدار العربية للكتاب - 1988 تونس.
- 46- عبد الرزاق عيد: دراسات نقدية في الرواية -دار الأدب والمعارف-
- 47- عبد القادر فيدوح:الاتجاه النفسي في النقد الشعر العربي-دراسة- ط1-دار الصفاء للنشر والتوزيع- عمان.
- عز الدين إسماعيل:
- 48- التفسير النفسي للأدب -دار العودة ودار الثقافة -بيروت .1962.
- 49- الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، ط5،73.
- 50- عزيز شكري الماضي: محاضرات في نظرية الأدب ط1-دار البعث للطباعة والنشر - قسنطينة .1984.
- 51- عزيزة مريدان: القصة والرواية -ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1970.
- 52- د.علي زيعور: مذاهب علم النفس -مدخل إلى علم النفس مع قراءات ونصوص ط5،دار الأندلس-.
- 53- د.علي عبد المعطي: فلسفة الفن: رؤية جديدة -دار النهضة العربية-.
- 54- فاليري لبين: مذهب التحليل النفسي وفلسفة الفرويدية الجديدة - دار الفرابي- بيروت 1981.
- 55- فيصل عباس: التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية- المقارنة العيادية- دار الفكر العربي - بيروت 1996.
- 57- د.صلاح مخيمر، عيدة مخائيل رزق:نظرية التحليل النفسي في العصاب.
- 58- رالف بارتون بري: إنسانية الإنسان،ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي-مؤسسة المعارف- بيروت .1961

- 59- رينة ويليك: نظرية الأدب: ترجمة: محي الدين صبحي، دمشق 1972.
- 60- عكاشة شايف: مدخل إلى عالم الرواية الجزائرية "قراءة مفتاحية منهج تطبيقي" -ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر 1990 .
- 61- خير الله عصار: مقدمة لعلم النفس الأدبي -ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر.

ثالثا: مراجع باللغة الأجنبية:

- 62-FREUD, s.La Psychanalyse,(1916-1917) Paris,Payot,1951,chap.XXV
- 63-JUNG,Métamorphoses de Lame et ses Symboles (Genève 1953)
- 64-PIERRE DACO- Les Prodigieuses Victoires de la Psychologie Moderne
Marabout Service 1968.

رابعا: معاجم المصطلحات.

- 65-جان لابلاش.ج.ب.بونتاليس:معجم التحليل النفسي، ترجمة: د.مصطفى ط2، حجازي -ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، 1984.
- 66- د.عبد المنعم الحنفي: المعجم الموسوعي للتحليل النفسي "عربي، إنجليزي، فرنسي، ألماني" -مكتبة مدبولي -مصر.

خامسا: الدوريات.

- 67- التبئين مجلة ثقافية إبداعية تصدر عن الجاحظية العدد 8 - السنة 1994 الجزائر.
- 68- مجلة الكاتب الجزائري:

- التاريخ: الأنا،ثنائية البوح السردي عند بوجدره ،أ.د.بشير بويجرة محمد.
- الأنا والتجليات النفسية لعناصر السيرة الذاتية في الرواية: أحمد حيدوش.

سادسا: الرسائل الجامعية

- 69-بشير حادي:الأدب في المناهج الأدبية الحديثة -المنهج النفسي -المادي-البنوي-بحث مقدم لنيل دكتوراه في الأدب -جامعة وهران 1994-1995.
- 70-محمودي بشير،البنية السردية في الرواية الجزائرية المعاصرة-رسالة ماجستر - جامعة وهران 1998.
- 71- عبد الله بن حلي:الفكر الفرويدي وأثره في النقد العربي- بحث مقدم لنيل دكتوراه في الأدب - جامعة الجزائر 1988-1989.
- 72- عبد القادر فيدوح،-الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي -إشراف:رجاء عيد رسالة لنيل درجة الدكتوراه 89-90.



مقدمة (أ - ج)

الفصل الأول

- 03 الرواية والتحليل النفسي
- 05 الرواية مرآة لانعكاس السلوك
- 05 الرواية وتأويلية الحدث

الفصل الثاني

- 07 بنية الشخصية والأحداث في رواية التفكك
- 08 السيرة الذاتية للروائي رشيد بوجدره
- 17 الطاهر الغمري
- 20 سالمة
- 22 أحمد بودريالة
- 24 بوعلي طالب
- 25 الحكيم الأجنبي
- 26 سيد أحمد إينال
- 27 لطيف

الفصل الثالث

- 31 الإسقاطات النفسية على بنيتي الزمان والمكان في رواية التفكك
- 33 تحليل متن التفكك
- 35 البطل والصراع السياسي
- 41 البطل والصراع الجنسي

47.....	البطل والصراع الديني.....
53.....	التعويض العلاجي.....
53.....	التعويض.....
53.....	التعويض السلبي.....
54.....	التعويض الإيجابي.....
57.....	على المستوى الفردي.....
57.....	على المستوى الجماعي.....

الفصل الرابع

60.....	المعجم اللغوي ودلالاته النفسية والاجتماعية في رواية (التفكك).....
84.....	خاتمة البحث.....

المصادر والمراجع

86.....	المصادر.....
86.....	المراجع.....
90.....	مراجع باللغة الأجنبية.....
90.....	معاجم المصطلحات.....
91.....	الدوريات والرسائل الجامعية.....

الفهرس العام

92.....	الفهرس العام.....
---------	-------------------

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد مظاهر الرواية الجديدة في رواية (التفكك) لرشيد بوجدره. والمعروف أن بوجدره كثيرا ما صرح بأنه ينتمي إلى تيار الرواية الجديدة في فرنسا. هذه الرواية التي جسدت فيها أصحابها الكثير من التغييرات على كل المستويات السردية المرتبطة بالرواية الكلاسيكية. وقد تناولنا في هذا الإطار مجموعة من البنيات كأتمثلة في رواية (التفكك) منها: تغير زاوية الرؤية فيما يخص منظومة القيم في النص الجديد، وأيضا تقنية الضمائر في الرواية الجديدة، وكذلك بنية الزمن وعلاقتها بالإيقاع العام، وكذلك لغة الرواية ومظاهر الحداثة فيها.

الكلمات المفتاحية: رواية، التفكك ، رشيد بوجدره، دراسة نفسية

Summary:

This study aims to monitor the aspects of the new novel in Rachid Boudjedra's Disintegration novel. It is known that Mr. Rachid Boudjedra has often declared his belonging to the new novel stream in France. This novel in which representators embodies a lot of changes on all levels of narration, that are related to the classical novel. We are taking on to consideration some of the structures as examples from the Disintegration novel; like: The change in viewing angle for the ethical system in the new text. The pronouns techniques in it; as well as the structure of time and its relationship with the general rhythm and language of the novel with manifestation of modernity.

key words: novel, Disintegration, Rashid Boujdra, Psychological study

Résumé:

L'objectif de cette étude est d'étudier et d'analyser les phénomènes du nouveau roman, cas de : « Désintégration » de Rachid Boudjedra, un romancier connu pour son appartenance au mouvement du nouveau roman en France. Ce roman est caractérisé par le renouveau des techniques de la narration utilisées précédemment dans le roman classique. On a relevé quelque exemple du texte narratif du roman pour vérifier cette hypothèse tel que le changement des

valeurs esthétiques et textuelles ainsi que la technique des pronoms et des temps lié directement au rythme général. Tous ces phénomènes sont issus du mouvement de nouveau roman.

**les mots clés: roman, Désintégration, Rashid Boujdra, Étude
psychologique**